ثقافات الشعوب





مشرق الشمس ومغرب القمر

حكايات شعبية من النرويج

جمع: غاردن ثورن تومسن
ترجمة: علي للو

مشرق الشمس ومغرب القمر

حكايات شعبية من النرويج

جمع :
غاردن ثورن تومسن

ترجمة :
علي للو





مشرق الشمس ومغرب القمر

حكايات شعبية من النرويج

فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

مشرق الشمس ومغرب القمر: حكايات شعبية من النرويج

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.A89.Et612 2009
Thorne - Thomsen, Gudrun, 1873.
[East of the Sun, West of the Moon With Other Norwegian Folk Tales]

مشرق الشمس ومغرب القمر: حكايات شعبية من النرويج/ جمع غاردن ثورن تومسن؛
ترجمة علي للو - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
180ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-357-0
ترجمة كتاب: East Of The Sun, West Of The Moon With Other Norwegian Folk Tales
1 - القصص الشعبية النرويجية. 2 - الحكايات النرويجية. أ- للو، علي.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: +971 2 6314 468 ،
فاكس: +971 2 6314 462



www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: +971 2 6215 300 ،
فاكس: +971 2 6336 059

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تمهيد

تهدف هذه الحكايات المستوحاة من التراث الفلكلوري النرويجي إلى تحفيز الطفل على التفكير، وتعميق قدراته على التخيل، من خلال سرد قصص الخيال والأساطير التي توفر للطفل مناخاً يستطيع بواسطته بلوغ آفاق أرحب من الخيال والتصور لبيئات وشخصيات وأحداث لم يرها على أرض الواقع.

كما تركّز هذه الحكايات الشعبية على ترسيخ عدد من القيم النبيلة لدى الطفل، بصورة مباشرة أحياناً، وغير مباشرة في أحيانٍ أخرى كما هو الحال في أدب الأطفال عموماً.

تعزّز الحكايات الواردة في هذا الكتاب ما يلي:

أولاً: تنمية روح المغامرة لدى الأطفال، والمبادرة لاكتشاف المجهول بوعي وحذر وإصرار.

ثانياً: محاربة هذه الحكايات للسحر والشعوذة، واثبات أنهما لا يقرران مصير الإنسان، رغم ما يسببانه من معاناة وألم.

ثالثاً: غرس قيم الخير وتقديم العون والمساعدة للمحتاج، لأن الإنسان لابد أن يجزى خيراً مقابل ما فعله من خير، وعليه أن لا يندم على ذلك.

رابعاً: تُبيّن هذه الحكايات أن الإنسان يُقيّم بعمله وأفعاله وليس بشكله ومظهره فقط، وإن المواقف الحاسمة تُبرز الأبطال الحقيقيين.

وكما هو الحال في الأدب الغربي عموماً، تحاول هذه الحكايات الشعبية التركيز على البطل الفرد (البطل الخارق) الذي يحقق المستحيل ويصل إلى أهدافه وغاياته، ويحقق العدل والسعادة متجاوزاً كل العقبات والعوائق.

ومن السمات البارزة لهذه الحكايات أنها لم تميز بين المرأة والرجل. فالبطل في القصة قد يكون شاباً أو فتاة يضحي أو تضحي في سبيل مساعدة الذات أو الأهل أو الإنسانية جمعاء. إضافة إلى ذلك، فقد أولت هذه القصص الوالدين والإخوة والأخوات والأهل والأسرة عموماً اهتماماً خاصّاً وركّزت على

أهمية تعزيز الروابط الأسرية. فها نحن نجد حكايات يضحي فيها الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت في سبيل أهلهم وعائلاتهم ويعملون جاهدين لإسعادهم وتقديم يد العون لهم.

وجرى تقديم الحكايات عن طريق الراوي (الحكواتي) بأسلوب شيّق ومثير يشّد الأطفال ويجعلهم يتابعون القصة في جو من الإثارة والتشويق مصحوباً بمواقف طريفة ومضحكة أحياناً. وكذلك تشكّل الحيوانات والطيور جزءاً كبيراً من شخصيات الحكايات، وهو ما يلائم عالم الطفل واهتماماته.

أخيراً، فإن الحبكة والبطل وعدد الشخصيات في هذه الحكايات تتسم بالبساطة والوضوح، إضافة إلى سلاسة اللغة، وهذه تعتبر من ميزات أدب الأطفال لدى كل الشعوب والأعراق والأمم.

علي للو

تقديم

شهدت السنوات الأخيرة إحياءً مفيداً لفن السرد القصصي القديم.

لقد أدرك المربُّون الأكثر اهتماماً وتقدميةً القيمة الثقافية للقصص الفلكلورية والخيالية، والحكايات الخرافية ذات المغزى التي ترد غالباً على ألسنة الحيوانات، والقصص الأسطورية؛ لا باعتبارها وسيلة لتعزيز قوة التخيل عند الطفل وتوجيهها وتوجيهها فحسب، بل و لكونها أساساً للفهم والتذوق الأدبي في الحياة بشكل عام.

وأدّت هذه الحالة إلى زيادة الطلب على أفضل الحكايات الواردة في هذه السطور. وقد اقتطف بعض المحررين قصصاً من مجال واحد، بينما اقتطف آخرون من مجالات عديدة. ويهدف هذا الكتاب الصغير إلى جمع أفضل ما احتوى عليه الفلكلور النرويجي من مخزون ثقافي غني.

وقام المحرر بسرد هذه الحكايات مرات عدة على جمهور مختلف ومتنوع من الأطفال وعلى أولئك الأكبر منهم سناً. وقد أثبتت كل واحدة من هذه الحكايات قدرتها على إثارة اهتمام المستمع واستحسانه عالمياً.

وتمثل الهدف خلال إعداد هذه الحكايات للنشر، في الحفاظ قدر الإمكان على المفردات والمصطلحات الـواردة في لغة الفلكلور الأصلية، إضافة إلى الإبقاء على أسلوب الحوار الذي يستخدمه الحكواتي فيها، لكي يضع القارئ اليافع، المتعاطف بدرجة أو بأخرى مع هذه الحكايات، في أجواء الحكاية عندما كانت تُسرد قديماً.

غاردن ثورن تومسون

مشرق الشمس ومغرب القمر

في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، عاش حطّاب فقير له الكثير من الأطفال، لدرجة أنه لم يكن عنده ما يكفي لإطعامهم وكسوتهم. وكان جميع الأطفال يتمتعون بالحسن والجمال، وكانت البنت الصغرى تبلغ من الجمال ما يفوق التصور.

وفي مساء يوم خميس في أواخر فصل الخريف، كان الطقس عاصفاً والليل دامساً. وهطل المطر وهبّت ريح شديدة هزت جدران الكوخ، حيث كان الأب وأطفاله جالسين حول النار وقد انشغل كل واحد منهم بهذا الأمر أو ذاك. وفجأة سمعوا نقراً على النافذة، وتكرر ذلك ثلاث مرات. حينئذ خرج الأب ليستطلع الأمر، وإذ به يرى دبّاً ضخماً أبيض اللون.

بادره الدب قائلاً: «مساء الخير».

أجابه الرجل: «مساء الخير».

قال الدبّ: «هل تعطيني ابنتك الصغرى؟ وإذا فعلت،

سأجعلك غنياً جداً بقدر ما أنت الآن شديد الفقر».

ما كان الرجل ليأسف مطلقاً على أن يكون غنياً جداً، ولكن أن يعطيه ابنته الأجمل فلا وألف لا، فهذا ما لا يستطيع فعله، لذا رفض عرض الدب ودخل إلى الكوخ وأحكم إغلاق الباب. لكن الدب صاح قائلاً: «سأمنحك وقتاً للتفكير. وسأعود ليلة الخميس المقبل لسماع ردك».

وسمعت البنت الجميلة كل كلمة قالها الدب، وقبل أن يأتي مساء الخميس القادم قامت بغسل ملابسها الرثة ورتيها، وتزينت قدر استطاعتها، واستعدت للانطلاق. ولا داعي للقول عزيزي القارئ إنها لم تواجه مشقة كبيرة في حزم أمتعتها التي لا تذكر.

وفي مساء الخميس التالي جاء الدب الأبيض ليأخذها، فركبت على ظهره ومعها صرتها وانطلقا سوياً. وبعد أن قطعا مسافةً قصيرة سألها الدب الأبيض: «هل أنت خائفة؟».

فأجابته البنت: «لا، على الإطلاق».

قال الدب: «حسناً، انتبهي وتمسكي بقوة بفرائي الأشعث، وليس هناك ما يدعو للخوف».

وهكذا، ركبت البنت على ظهر الدب مسافة طويلة جداً حتى وصلا إلى تلة شديدة الانحدار. هناك قرع الدب على بابٍ فانفتح، ثم دخلا إلى قلعة فيها حجرات عديدة كلها مضاءة، وتتلألأ بالفضة والذهب، وهناك أيضاً منضدة في غاية الفخامة أعدت مسبقاً. وبعدئذٍ أعطى الدب جرساً فضياً للفتاة، فإذا أرادت شيئاً فما عليها إلا أن تقرع الجرس، وفي الحال تحصل على ما تريد.

وعندما تناولت البنت عشاءها وأسدل الليل ستاره، غلبها النعاس بسبب الرحلة الطويلة والشاقة. وشعرت أنها راغبة في الذهاب إلى الفراش، فقرعت الجرس الذي ما كادت تمسك به حتى وجدت نفسها في حجرة نوم فيها سريران أبيضان جميلان يتمنى أيُّ إمرئٍ أن ينام عليهما. ولكن عندما أطفأت النور ودخلت الفراش، جاء شخص ما إلى الغرفة ونام على السرير الآخر. وتكرر هذا الأمر كل ليلة، ولم تعرف البتة هوية ذلك الشخص، لأنه دائماً كان يأتي بعد أن تطفئ النور، وقبل حلول الفجر يستيقظ ويمضي في سبيله.

وهكذا سارت الأمور لفترة من الزمن، والفتاة تحصل على كل ما تريده أو يعنّ على بالها. ولابد من أنك تعرف عزيزي

القارئ أنها لم تكن تشاهد أي إنسان من الصباح حتى المساء، والوحيد الذي تتحدث إليه هو الدب الأبيض؛ ولم تكن تعرف إن كان الذي يأتي للنوم في غرفتها ليلاً إنسان أم وحش. وأخيراً أضحت صامتةً وحزينةً، وصارت لا تأكل ولا تشرب.

وجاء إليها الدب في أحد الأيام وقال: «لماذا أنت حزينة أيتها الفتاة؟ إن هذه القلعة بكل ما فيها ملك لك، والجرس الفضي يعطيك كل ما تتمنين. ولي رجاءٌ واحدٌ فقط، وهو ألا تطرحي أي سؤال، وثقي بي لن يحدث لك أي مكروه. والآن عودي سعيدة كما كنت». ومع ذلك لم تشعر الصبية براحة البال لأنها تمنَّت أن تعرف شيئاً واحداً: من هو الذي يأتي ليلاً وينام في حجرتها. وظلّ السؤال يشغلها طيلة نهاراتها ولياليها، وكانت متلهفة لمعرفة من يشاركها حجرتها، وشعرت بالغيظ والقهر.

وفي إحدى الليالي بعد أن طفح بها الكيل ولم تعد قادرة على الاحتمال، نهضت بعد أن تناهى لسمعها أنه نائم، فأشعلت شمعة صغيرة ووجهت ضوءها نحوه. وحينئذ رأت أنه أجمل أمير تقع عليه عينا إنسان، فانحنت عليه وقبّلته. وحين قبّلته سقطت ثلاث قطرات شمعٍ ساخنٍ على قميصه، فاستيقظ.

صرخ قائلاً: «ماذا فعلت؟ لقد جعلت كلاً منا تعيساً، ولو انتظرت هذا العام فقط، لكنت أصبحت حراً. فأنا الدب الأبيض في النهار، والأمير في الليل. لقد سحرتني ساحرة شريرة؛ والآن عليَّ أن أفارقك وألتحق بها. إنها تعيش في قلعة تقع في مشرق الشمس ومغرب القمر، وهناك العديد من الجنيات والساحرات، اللواتي يتوجب عليَّ أن أتزوج إحداهن».

بكت الصبية، ولكن لم يعد باليد حيلة لأنه بات لزاماً عليه أن يرحل. عند ذلك سألته إن كان بالإمكان أن تذهب معه.

لا، لا يمكنها ذلك.

قالت له: «دلني على الطريق إذن، وبالتأكيد سأبحث عنك، فربما أتيحت لي فرصة العثور عليك».

فقال لها: «أجل، ربما تفعلين ذلك، ولكن ليس هناك من طريق إلى ذلك المكان. فهو يقع في مشرق الشمس ومغرب القمر، ولا يمكن أن تجدي طريقك إلى هناك». وفي تلك اللحظة اختفى الأمير والقلعة، ووجدت الصبية نفسها على قطعة أرض خضراء صغيرة، في وسط غابة كثيفة موحشة، وبجانبها صرة ملابسها الرثة التي أحضرتها معها من منزل والدها.

بكت وأجهشت بالبكاء حتى تعبت، وظلت طوال الوقت تفكر بالأمير الوسيم، وكيف يمكنها العثور عليه.

وأخيراً انطلقت في طريقها ومشت أياماً وأياماً تسأل كل من تقابله: «هل يمكنك أن ترشدني إلى الطريق المؤدية إلى القلعة التي تقع في مشرق الشمس ومغرب القمر؟». ولكن لم يستطع أحدٌ أن يرشدها.

وواصلت السير لوقت طويل يبعث على الملل والإرهاق، وحين وصلت إلى بيت الريح الشرقية ذات صباح كانت جائعة ومتعبة. وهناك سألت الريح الشرقية إن كانت تستطيع إرشادها إلى الطريق التي تؤدي للأمير الذي يسكن في مشرق الشمس ومغرب القمر.

أجل، فغالباً ما سمعت الريح الشرقية عن ذلك المكان وعن الأمير والقلعة، إلا أنها لا تستطيع أن ترشدها إلى الطريق لأنها لم تهب من قبل بعيداً إلى هناك.

قالت الريح الشرقية للصبية: «لكن إذا رغبت فسوف أذهب معك إلى أختي الريح الغربية، فربما تعرف الطريق لأنها أقوى مني. اركبي على ظهري وسوف أحملك إلى هناك».

وركبت على ظهر الريح، وكن واثقاً عزيزي القارئ أنهما انطلقا بسرعة وخفة.

وعندما وصلا إلى هناك، ذهبا إلى بيت الريح الغربية، قالت الريح الشرقية إن الفتاة التي أحضرتها هي التي من المفترض أن تتزوج الأمير الذي يعيش في القلعة عند مشرق الشمس ومغرب القمر، وإنها انطلقت تبحث عنه، وستكون سعيدة أن تعلم إن كانت الريح الغربية تعرف الطريق إلى القلعة.

قالت الريح الغربية: «لا، لأنني لم أهبّ بعد إلى تلك الأصقاع البعيدة، ولكن إن شئت سأذهب معك إلى أختنا الريح الجنوبية، لأنها أقوى من كلينا وقد رفرفت بجناحيها في كل اتجاه. فربما تستطيع أن تدلك. يمكنك أن تركبي على ظهري وسوف أحملك إليها».

وبالطبع ركبت الفتاة على ظهرها، وهكذا ارتحلتا إلى الريح الجنوبية، ولم تكن المسافة طويلة. عندما وصلتا، سألت الريح الغربية أختها الريح الجنوبية عن القلعة التي تقع في مشرق الشمس ومغرب القمر، لأن الفتاة يفترض أن تتزوج الأمير الذي يعيش هناك.

قالت الريح الجنوبية: «أحقاً ما تقولين، أهذه هي الفتاة، أليس كذلك؟ صحيح أنني عصفت إلى معظم الأماكن لكنني لم أهبّ إلى هذا الحد بعد، لكن إن شئت فسوف آخذك إلى أختي الريح الشمالية لأنها الأكبر سنّاً والأقوى منا جميعاً. وإذا لم تعرف المكان فلن تجدي أحداً آخر في العالم يدلك على الطريق. اركبي على ظهري وسوف أحملك إلى هناك». وركبت على ظهرها وغادرت الريح منزلها بسرعة. ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً. وعندما اقتربتا من منزل الريح الشمالية، كانت الريح عاصفة تهبّ منها نفثات باردة.

ومن مسافة بعيدة صرخت عليهما: «هاي، أنتما هناك، ماذا تريدان»؟ فأصابتهما رجفة من البرد القارس.

قالت الريح الجنوبية: «أنا أختك، وهذه الصبية يجب أن تتزوج الأمير الذي يعيش في القلعة التي تقع في مشرق الشمس ومغرب القمر. وهي تريد أن تسألك إذا سبق وأن وصلت إلى هناك؟ وهل تعرفين الطريق إليها؟ لأنها سوف تكون سعيدة إذا عثرت عليه».

قالت الريح الشمالية: «نعم، إنني أعرف أين هي. مرة في حياتي حملت ورقة حور إلى هناك، ولكنني كنت مرهقة

ولم أستطع أن أنفخ نفخة واحدة لعدة أيام بعد ذلك. لكن إذا أردت فعلاً الذهاب إلى هناك، ولست خائفة من الذهاب معي، فبإمكاني حملك على ظهري ونفخك هناك».

قالت الصبية: «نعم وشكراً لك»، لأن عليها الوصول إلى هناك بأي حال من الأحوال إذا كان ذلك ممكناً. أما عن الخوف فهي لن تخاف مطلقاً حتى لو عصفت الريح بجنون.

قالت الريح الشمالية: «رائع إذن، ولكن عليك أن تبيتي هنا الليلة لأنه سيكون أمامنا يوم بأكمله إن استطعنا الوصول إلى هناك».

وباكراً في صبيحة اليوم التالي أيقظتها الريح الشمالية، وهبت وعصفت واستجمعت قوتها وانتشرت وكان منظرها يرعب الناظرين. وهكذا انطلقت الفتاة عالياً على ظهر الريح الشمالية، وارتفعتا في الجو وكأنهما لن تتوقفا حتى تبلغا آخر الدنيا.

وفي الأسفل هبت عاصفة هوجاء واقتلعت مساحات من الغابة والعديد من المنازل، وحينما اجتاحت البحر العظيم انقلبت السفن بالمئات. واندفعت الريح والصبية من دون توقف إلى مسافة لا يصدقها أحد، وطوال الوقت كانت تهب فوق

البحر حتى شعرت بالتعب والإنهاك وكاد نفسها أن ينقطع، ولم تعد قادرة على عصفةٍ واحدة، وراحت أجنحتها تتدلّى حتى انخفضت في النهاية ولامست قمم الأمواج التي ضربت أعقابها.

وقالت الريح للبنت: «هل أنت خائفة؟».

لم تكن خائفة.

وكانتا غير بعيدتين عن اليابسة، وما زالت تملك الريح الشمالية قدراً كبيراً من القوة مما مكنها من أن تقذف بنفسها إلى الشاطئ القريب من القلعة التي تقع في مشرق الشمس ومغرب القمر. وبعد ذلك غدت ضعيفة منهكة، مما اضطرها إلى البقاء هناك وأخذ قسط من الراحة لأيام عديدة، قبل أن تستطيع العودة إلى بيتها ثانية.

والآن بدأت الصبية تتفحص ماحولها وتفكر كيف يمكنها تحرير الأمير، ولكنها لم تشاهد ما يدل على وجود الحياة في ذلك المكان. بعد ذلك جلست تحت نوافذ القلعة، وما إن غربت الشمس، حتى جاءت الجنيات والساحرات ذوات العيون الحمر والأنوف الطويلة، وكان هناك أيضاً عجائز محدودبات الظهور، ورحن جميعاً يتدافعن فوق بعضهن بعضاً، ويوبخن ويشتمن بعضهن بعضاً ويهرولن هنا وهناك.

وفي البداية بث منظرهن الرعب في قلب الصبية حتى أوشكت أن تزهق روحها، ولكنها عندما راقبتهن لفترة ولم ينتبهن لوجودها، استجمعت شجاعتها وتقدّمت من إحداهن وقالت: «أتوسل إليك أن تخبريني عما يجري هنا هذه الليلة، إذ يبدو أنكن جميعاً منشغلات جداً، فهل يمكنني أن أفعل شيئاً ما لقاء مبيتي ليلة، والحصول على القليل من الطعام؟».

«ها،ها،ها»، ضحكت الساحرة البغيضة، وقالت: «من أين أتيت حتى إنك لا تعلمين أن هذه هي الليلة التي يختار فيها الأمير عروسه. وعندما يصبح القمر عالياً هناك فوق قمم الشجر، فإننا نجتمع في الساحة بالقرب من شجرة البلوط العجوز. هناك تكون القدور جاهزة تغلي بمحلول الصابون؛ أتعلمين لماذا؟ لأن التي تستطيع غسل بقع الشمع الثلاث عن قميصه سيختارها عروساً له، ها، ها، ها».

وانطلقت الساحرة الشريرة مسرعة وهي تضحك تلك الضحكة المريعة التي كادت تجمد الدم في عروق الفتاة. وبدا كما لو أن الساحرات والجنيات الأقزام يخرجن من الأرض وخطاهن جميعاً تتجه إلى الساحة في وسط الغابة.

كذلك ذهبت الصبية الجميلة ووجدت لنفسها مكاناً بين الجموع. وارتفع القمر الآن عالياً فوق قمم الأشجار، وهناك في الوسط وضعت قدر وتحلقت حولها الجنيات والساحرات، يا لها من صحبة تثير الاشمئزاز والقرف وكلي ثقة عزيزي القارئ أنك لم ترّ يوماً مثل هذا المكان، ولا مررت بمثل تلك التجربة. وحينئذ جاء الأمير وبدأ ينظر إلى الحضور واحداً تلو الآخر، ورأى الصبية الجميلة فاتقد وجهه شوقاً، بيد أنه لم ينبس ببنت شفة.

وقالت ساحرة طول أنفها ثلاثة أذرع: «لنبدأ الآن»، وكانت هذه واثقة أنها ستفوز بالأمير، وبدأت بغسل البقع الثلاث التي كانت على قميصه، ولكن كلما ازداد المسح والفرك، اتسعت رقعة البقع.

قالت عجوز شمطاء: «أنت لا تجيدين الغسيل، فدعيني أحاول».

ولكن ما إن تناولت القميص بيديها حتى غدا أسوأ من قبل، وبالرغم من كل الفرك والمسح والعصر، إلا أن البقع ازدادت اتساعاً وصارت أكثر سواداً، وأصبح القميص أكثر اتساخاً وقبحاً.

وتوالت الجنيات على غسل القميص، لكن كلما طالت المدة ازداد القميص سواداً وبشاعة، حتى أصبح في النهاية شديد

السواد كما لو أنه كان في مدخنة.

قال الأمير: «آه، ليس منكن من تساوي قشةً، إنكن لا تستطعن الغسيل. لماذا تجلس تلك البنت المتسولة هناك. أنا واثق أنها تعرف كيف تغسل القميص أفضل منكن جميعاً. تعالي أيتها الصبية»، ناداها الأمير بصوت عالٍ.

قال لها: «هل تستطيعين تنظيف القميص؟».

قالت: «لا أدري، لكن أظن أنني أستطيع».

وحتى قبل أن تمسك بالقميص وتغمسه بالماء، أصبح أبيض كالثلج بل أنصع بياضاً.

قال الأمير: «نعم، أنت الفتاة المناسبة لي».

وفي تلك اللحظة أشرقت الشمس وتحولت جوقة الجنيات إلى حجارة. وهناك يمكنك رؤيتها إلى يومنا هذا موزعة في دائرة، الكبير منها والصغير حجارة صلبة وباردة.

أما الأمير فأمسك بيد الصبية الجميلة وطارا بعيداً عن القلعة التي تقع في مشرق الشمس ومغرب القمر.

تيوس الماعز الثلاثة الفظة

في قديم الزمان كان هناك ثلاثة تيوس عليها الصعود إلى جانب التل لتأكل وتسمن، وكان اسم عائلة هذه التيوس «الفظة».

وكان هناك جسر فوق نهرٍ يتوجب على التيوس أن تعبره حتى تصل إلى التلة، وتحت الجسر عاشت جنية قبيحة ضخمة لها عينان كبيرتان بحجم طبقين، وأنف طويل كقضيب تحريك النار.

في البداية تقدم التيس الأصغر ليعبر الجسر. «طق - طاق - طق - طاق» أصدر الجسر أصواتاً لدى مرور التيس. زأرت الجنية قائلة: «من هذا الذي يمشي مطقطقاً فوق جسري؟».

قال التيس بصوت رقيق: «أوه، إنه أنا التيس الأصغر؛ وإنني ذاهب إلى جانب التل لتسمين نفسي».

قالت الجنية: «إنني قادمة الآن لكي ألتهمك».

قال التيس الأصغر: «أوه، أوه، لا، أتوسل إليك ألا تأخذيني، فأنا مازلت صغيراً جداً، كما ترين، انتظري قليلاً حتى يأتي التيس الثاني فهو أكبر مني كثيراً».

قالت الجنية: «حسناً، أغرب عن وجهي».

وبعد فترة وجيزة جاء التيس الثاني عبرالجسر.

«طق - طاق - طق - طاق - طق - طاق». أصدر الجسر أصواتاً لدى مرور التيس: «من هذا الذي يمشي مطقطقاً فوق جسري؟».

«أوه، إنه أنا التيس الثاني، وأنا ذاهب إلى سفح التل لتسمين نفسي». ولم يكن صوته رقيقاً.

قالت الجنية: « إنني قادمة الآن لكي ألتهمك».

ناشدها التيس: «أوه، أوه، لا، أتوسل إليك الا تأخذيني، انتظري قليلاً حتى يأتي التيس الكبير فهو أكبر مني كثيراً».

قالت الجنية: «حسناً، اغرب عن وجهي».

بعدئذ جاء التيس الكبير.

وراح يسير فوق الجسر الذي بدأ يئن ويتصدع من ثقله.

«طق - طاق - طق - طاق- طق - طاق».

صرخت الجنية قائلة: «من هذا الذي يمشي مطقطقاً فوق جسري؟».

«إنه أنا التيس الكبير»، قال ذلك بصوت ضخم أجش.

زأرت الجنية عالياً: «إنني قادمة الآن لكي ألتهمك».

«حسناً تعالي! فلدي رمحان قويان جداً سوف اقتلع بهما بؤبؤي عينيك، ومعي أيضاً حجران عظيمان سأسحق بهما جسمك وعظامك». هذا ما قاله التيس الكبير.

وهجم التيس على الجنية وطعنها بقرنيه وسحق عظامها وجسمها ورماها في النهر، ثم ذهب بعد ذلك إلى التلة.

وهناك أصبحت التيوس سمينة جداً لدرجة أنها بالكاد كانت قادرة على السير إلى البيت ثانية.

ويقول الراوي: «فإذا لم تصبح نحيفة، فلماذا تبقى سمينة».

«توتة توتة، خلصت الحدوتة».

تيبرتوم

في سالف الوقت والزمان كان هناك ملك له ابنة ذاع صيت جمالها في طول البلاد وعرضها. إلا أنها كانت حزينة ورزينة، ولا يمكن إضحاكها على الإطلاق، وكان لها كبرياء وأنفة جعلاها ترفض كل من جاء يطلب ودّها منهم مهما كانت منزلته رفيعة، نبيلاً كان أم أميراً.

ضاق الملك ذرعاً بهذا الحال، لأنه اعتقد أن ابنته يجب أن تتزوج كباقي البنات. و لا فائدة ترجى من الانتظار، فقد باتت سنها كبيرة بما يكفي، ولن تصبح أكثر ثراءً مما هي عليه الآن، لأنها سترث نصف المملكة باعتبارها وريثة أمها.

أذاع الملك خبراً في كافة أرجاء مملكته مفاده أنه سيزوج ابنته لمن يجعلها تضحك، ويعطيه فوق ذلك نصف مملكته. لكن كل من يحاول ذلك ولا يفلح، فإنه سيعاقب جلداً بالسوط. وبالتأكيد فإن هنالك العديد من الظهور التي ألهبتها السياط، لأن العشاق والمحبين جاؤوا من شمال البلاد وجنوبها وشرقها

وغربها معتقدين أن إضحاك ابنة الملك أمرٌ يسير. وقد اتسموا جميعاً بخفة الروح، وبعضهم اتصف بالمرح الشديد، بيد أنه رغم ألاعيبهم وحركاتهم المثيرة للضحك، ظلت الأميرة حزينة وقورة كما كانت من قبل.

وفي مكان غير بعيد عن القصر عاش رجل مع أبنائه الثلاثة، وهؤلاء سمعوا أيضاً عن إعلان الملك أنه سيزوج ابنته الأميرة لمن يجعلها تضحك، وسيهبه نصف مملكته.

وكان الابن الأكبر هو من سينطلق أولاً. ولذلك توجه إلى القصر وأخبر الملك أن من دواعي سروره القيام بمحاولة إضحاك الأميرة.

قال الملك: «حسناً أيها الشاب، ولكن من المؤكد أن محاولتك لن تؤتي ثمارها لأن الكثيرين حاولوا قبلك. إن ابنتي حزينة ولا جدوى من المحاولة، ولا أتمنى أن يشعر أحد بالأسى والحزن».

بيد أن الفتى أصرّ على المحاولة، قائلاً إن إضحاك الأميرة ليس بالأمر الصعب، ولا سيما أنه استطاع إضحاك العديد من الناس من مختلف المستويات عندما التحق بالجيش، ودربه العريف جاك.

وهكذا خرج إلى ساحة القصر ووقف تحت شرفة الأميرة وبدأ يعرض الحركات البهلوانية التي تعلمها من العريف جاك. لكن الأميرة بقيت حزينة ولم تضحك، بل إنها لم تبتسم له ابتسامة خفيفة واحدة. لذلك أخذوه وجلدوه بشدة، وأرجعوه إلى بيته.

وما كاد يصل إلى البيت حتى انطلق أخـوه الثاني لكي يحاول إضحاك الأميرة. وكان مديراً لمدرسة، وأظرف شخصية مضحكة يشاهدها المرء في حياته. كان يميل إلى أحد جنبيه عندما يمشي لأن إحدى رجليه أقصر من الأخرى، وعندما يقف على الرجل القصيرة يبدو ولداً صغيراً، أما عندما يقف على الرجل الطويلة، فيبدو بطول جني، إضافة إلى ذلك كان خطيباً قوياً.

ولذلك عندما جاء إلى قصر الملك وأعـرب عن رغبته في إضحاك الأميرة، ظن الملك أن نجاح المحاولة ليس مستبعداً إلى حدٍ كبير. وقال له: «كان الله في عونك، وإن لم تستطع إضحاكها، فإننا نشدد العقاب أكثر فأكثر على من يفشل في محاولته».

بعدها سار مدير المدرسة بخفة إلى ساحة القصر، ووقف أمام شرفة الأميرة وراح يقرأ ويخطب وكأنه سبعة خطباء مجتمعين، ثم بدأ يغنّى وينشد كأنه سبعة مغنين مجتمعين، ثم علا صوته وكأن الذي يخطب ويغني هو جميع الخطباء والمغنين الموجودين في أنحاء المملكة.

وقد أضحكت حركاته الملك وأوشكت الأميرة على الابتسام قليلاً، غير أنها عادت حزينة كسابق عهدها. وهكذا أخفق «بول» المدير، مثلما أخفق أخوه الجندي «بيتر» من قبل. ولذلك أخذوه وجلدوه بالسوط ثم أعادوه إلى بيته.

بعد ذلك جاء دور أخيهما الصغير وكان اسمه «تيبر توم». وسخر أخواه منه، وتهكما عليه، وأرياه آثار السياط على ظهريهما. وقال أبوه لا فائدة من الذهاب لأنه لا يملك موهبة. أليس صحيحاً أن هذا الصبي لم يكن يعرف شيئاً ولا يستطيع عمل أي شيء؟ كان يجلس في الموقد مثل قطة ينبش في الرماد ويخربش الحطب، ولذلك سموه «تيبر توم». إلا أن تيبر توم لم ييأس أو يستسلم، وسئموا من هذره وتذمره. وأخيراً ذهب إلى قصر الملك ليجرب حظه.

وعندما وصل إلى هناك، لم يقل إنه جاء لإضحاك الأميرة، بل طلب الحصول على عمل في القصر. فقيل له لا، ليس له مكان هناك؛ لكن «تيبر توم» لم يستسلم. إذ لابد من أنهم يحتاجون في هذا القصر الضخم إلى شخص يحمل الحطب والماء للخادمة في المطبخ، وهذا ما قاله بالضبط. ووافق الملك في النهاية بعد أن سئم من إلحاحه. وهكذا بقي «تيبر توم» في القصر لحمل الحطب

ونقل الماء لخادمة المطبخ.

وذات يوم، وهو ذاهب لإحضار الماء من الجدول، وقعت عيناه على سمكة كبيرة مستلقية تحت جذع شجرة صنوبر قديمة بعد أن انحسر الماء عن ضفة الجدول. فوضع دلوه بخفة تحت السمكة وأمسك بها، لكنه وفي طريق عودته إلى القصر قابل عجوزاً تقود إوزة ذهبية بخيط.

قال تيبر توم: «أسعد الله صباحك أيتها الأم الفاضلة، ما أروع هذا الطير وما أجمل ريشه، لو كان لدى المرء مثل هذا الريش، لتوقف عن تقطيع خشب التنوب».

وأبدت المرأة الطيبة إعجابها بالسمكة التي يحملها توم في دلوه، وقالت إنها مستعدة لمبادلة الإوزة الذهبية بالسمكة. لقد كانت إوزة مدهشة، إذا لمسها إنسان ما فإنه يلتصق بها على الفور، وبمجرد أن يقول توم: «إذا أردت أن تأتي معنا بسرعة، فتمسك جيداً»، وبالطبع كان تيبر توم راغباً جداً في المبادلة.

قال توم لنفسه: «الطائر مفيد كفائدة السمكة»، ثم قال للعجوز: «إذا كان هذا الطائر كما تقولين، فإنني أستطيع استخدام الإوزة كصنارة لصيد السمك» وهكذا، أخذ الإوزة وكان سعيداً بها.

لم يمض بعيداً حتى قابل عجوزاً أخرى، راحت تتحدث بكلام معسول حين رأت الإوزة الجميلة، وتوسلت إلى توم أن يسمح لها بلمس الإوزة الذهبية.

قال تيبر توم: «بكل سرور، تفضلي»، وبمجرد أن لمست الإوزة، قال: «إذا أردت أن تأتي معنا بسرعة، فتمسكي جيداً».

وحاولت العجوز تخليص نفسها من الإوزة ولكنها لم تستطع، وبقيت ملتصقة بها، وواصل تيبر توم سيره كأنه هو والإوزة وحدهما فقط.

بعد مسافة قصيرة التقى رجلاً كان قد تشاجر مع العجوز بسبب حيلة احتالتها عليه. وعندما رآها وهي تحاول جاهدة التحرر من الإوزة، من دون نتيجة، فكر في الانتقام منها ليشفي غليله فقام بركلها بقدمه.

وعلى الفور قال توم: «إذا أردت أن تأتي معنا بسرعة، فتمسك جيداً»، وإذا بالرجل يلتصق بالإوزة وكان عليه أن يقفز على رجل واحدة، سواءً أراد ذلك أم لم يرد. وعندما حاول فك نفسه، ازداد الأمر سوءاً لدرجة أنه كاد يسقط على ظهره في كل خطوة يخطوها.

وواصل تيبر توم والمرأة العجوز والرجل والإوزة السير معاً حتى اقتربوا من قصر الملك. هناك قابلوا حدّاد الملك الذي كان في طريقه إلى ورشته، وكان يحمل ملقطاً ضخماً في يده. ويجب أن تعلم عزيزي القارئ أن هذا الحداد كان شخصاً مرحاً ولديه الكثير من الحيل والخدع، وحين رأى هذه السلسلة تعرج وتتمايل ضحك ضحكاً شديداً، حتى كاد أن ينشطر نصفين.

ثم صاح بصوت مدوٍ: «من المؤكد أن هذا سرباً جديداً من الإوز سوف تحصل عليه الأميرة، ها! هذا ذكر الإوز الذي يسير في المقدمة».

«إوزتي الجميلة، إوزتي، إوزتي»، قال الحداد وفتح يديه كأنه يرمي لها حبات الذرة.

ولم يتوقف السرب، بل واصل سيره، وفيه العجوز والرجل الذي نظر بغضب إلى الحداد الذي سخر منهما.

وقال الحداد: «سيكون من الممتع أن أرى، إن كنت قادراً على الإمساك بالسرب كله، مهما كان العدد»، لأنه كان رجلاً قوياً. وهكذا أمسك الحداد ذيل معطف الرجل بملقطه، بينما الرجل يصرخ ويتلوى. فقال تيبر توم: «إذا أردت أن

تأتي معنا بسرعة، فتمسك جيداً»، وهكذا كان لزاماً على الحداد مرافقتهم. ومع أنه أحنى ظهره، وتشبث بالأرض بقدميه وحاول الإفلات، إلاّ أنّ كل محاولاته ذهبت أدراج الرياح. تشبث بقوة كأنه ثبّت نفسه بملزمة، ولكن شاء أم أبى، فقد كان عليه أن يمضي راقصاً مع الآخرين.

وعندما دنوا من قصر الملك، ركض الكلب نحوهم وبدأ ينبح كأنهم ذئاب أو متسولون. وعندما نظرت الأميرة من نافذتها لكي تتبينّ جلية الأمـر، ووقعت عيناها على هذا السرب الغريب العجيب، ضحكت في سرّها. غير أن تيبر توم لم يقتنع بذلك وقال في نفسه: «انتظر قليلاً، لابد من أن الأميرة ستضحك بصوت مرتفع»، وتوجه مع فرقته خلف القصر. عندما مرُّوا بمطبخ القصر، كان بابه مفتوحاً وكانت الطاهية تحرك العصيدة، وحين شاهدت تيبر توم مع سربه خرجت للباب وبيدها مكنسة، وباليد الأخرى مغرفة مليئة بالعصيدة، وضحكت حتى كادت تنفجر من الضحك. وعندما رأت الحداد معهم انفجرت ضاحكةً مرة أخرى. لكن عندما توقفت عن الضحك، رأت أن الإوزة الذهبية ظريفة جداً ورغبت في أن تلمسها.

نادت الطاهية: «تيبر توم، تيبر تـوم»، وخرجت تركض ومغرفة العصيدة بيدها، ثم قالت: «اسمح لي بلمس تلك الإوزة الظريفة ومداعبتها».

قال الحداد: «الأفضل أن تأتي وتداعبيني». وعندما سمعت الطاهية هذا الكلام ثارت غضباً وقالت: «ما هذا الكلام الذي تقوله؟»، ثم صرخت وضربته على أذنيه بالمغرفة.

قال تيبر توم: «إذا أردت أن تأتي معنا بسرعة، فتمسكي جيداً»، وهكذا علقت الطاهية وبالرغم من محاولتها الإفلات، وحركاتها وصراخها ولسانها السليط، لم تجد بداً من مرافقتهم وهي تعرج.

وفي الحال وصل السرب تحت شرفة الأمـيرة حيث وقفت بانتظارهـم. وعندما رأت أنهـم جاءوا بالطاهية أيضاً، وهي تحمل مكنستها ومغرفتها، ضحكت بملء فيها، لدرجة أن الملك اضطر إلى الإمساك بها خوفاً عليها من أن تقع أرضاً من شدة الضحك.

وهكذا تزوج تيبر توم الأمـيرة، ونال نصف مملكة أبيها، ويقال إنه أسعدها طيلة حياتها بمزاحه وحيله التي تثير الضحك والسرور.

لماذا بات الدب مبتور الذيل

التقى الدب في أحد الأيام الثعلب الذي جاء متسللاً يحمل مجموعة أسماك سرقها. فسأله: «من أين حصلت على هذه الأسماك؟».

قال الثعلب: «يا سيدي بروين، لقد خرجت للصيد واصطدتها بنفسي».

وعزم الدب على تعلم الصيد أيضاً وطلب من الثعلب المساعدة. وأجاب الثعلب قائلاً: «إنه عمل سهل بالنسبة لك، وسرعان ما ستتعلم كيف تصطاد. ما عليك سوى أن تذهب إلى الجليد وتحفر ثقباً ثم تدخل ذيلك فيه وتبقيه أطول مدة ممكنة. ولا تكترث إذا شعرت بوخزٍ قليلٍ في ذيلك، فهذا يحدث حين يعضك السمك، فكلّما أبقيت ذيلك فترة أطول في الحفرة، جمعت المزيد من السمك، بعد ذلك اسحب ذيلك مرة واحدة وبقوة».

فعل الدب كما قال له الثعلب وأبقى ذيله طويلاً في الحفرة حتى تجمد من البرد، ثم سحبه بقوة شديدة فانكسر، ولهذا السبب لا يزال الدب «بروين» يتجول بذيله المجدوع حتى يومنا هذا.

الثعلب رينار[1] والديك

كان هناك في قديم الزمان ديك حطَّ على سياج الحظيرة وصاح ورفرف بجناحيه. وبعد قليل مر به الثعلب رينار.

فقال: «طاب يومك أيها الديك، لقد سمعتك تصدح بصورة جميلة، لكن هل تستطيع الوقوف على رجل واحدة وتصيح وتغمض عينيك».

قال الديك: «نعم، أستطيع ذلك بشكل جيد». ثم وقف على رجل واحدة وصاح لكنّه غمز بعين واحدة ونفش ريشه ورفرف بجناحيه كأنه قام بعمل عظيم.

قال رينار: «جميل جداً كجمال صوت الواعظ في دار العبادة، لكن هل تستطيع أن تقف على رجل واحدة وتغمض عينيك في الحال؟ أشك أنك تستطيع ذلك».

(1) رينار بالفرنسية اي ثعلب وهي أيضاً صفة للشخص المحتال. (م).

قال الديك: «أجل، أستطيع!». ثم وقف على رجل واحدة وأغمض عينيه الاثنتين وصاح، لكنّ الثعلب أمسك به من حنجرته وألقاه على ظهره، وحمله إلى الغابة بسرعة كبيرة قبل أن يسمع أحد صياحه.

وعندما وصلا تحت شجرة صنوبر جميلة ألقى رينار الديك على الأرض ووضع مخلبه على صدره، وهم بالتهامه.

فقال الديك: «أنت شرير يا رينار فالصالحون يشكرون الله قبل أن يأكلوا».

بيد أن رينار لم يكن شريراً، حقاً لم يكن كذلك. لذا أرخى قبضته عن الديك ورفع براثنه عن صدره وبدأ دعاء الشكر، لكن الديك انتفض وطار فوق الشجرة.

قال رينار لنفسه: «يجب ألا تترك المكان» ثم ذهب وعاد يحمل قطعاً خشبية صغيرة تركها الحطّابون وراءهم. أطل الديك ليعرف ما هي هذه القطع. قال للثعلب: «ماذا لديك هنا؟».

قال رينار: «هذه رسائل وصلتني، هلاّ ساعدتني على قراءتها لأنني لا أجيد القراءة والكتابة».

قال الديك: «يسرني ذلك، لكنني لا أجرؤ لأن هناك صياداً قادماً إلى هنا، إنني أراه يحمل كيسه وبندقيته. عندما سمع رينار الديك يتحدث عن الصياد، أسلم ساقيه للريح وولّى هارباً.

الشريكان بروين ورينار

في قديم الزمان كان بروين ورينار يملكان حقلاً مشتركاً، وكانت لديهما ساحة صغيرة في أعلى الغابة، وفي السنة الأولى زرعا شعير الجاودار.

وعند جني المحصول قال رينار: «الآن يجب أن نقتسم المحصول بصورة عادلة ومنصفة. إذا أخذت الجذور يا بروين، فسوف آخذ أعلى المحصول».

أجل، لقد كان بروين مستعداً لقبول ذلك، لكن عندما قاما بدرس المحصول، أخذ رينار كل الشعير، ولم يحصل بروين سوى على الجذور والمخلفات. لم يرق ذلك الأمر إلى بروين غير أن رينار ذكّره بأنهما اتفقا سلفاً على هذه القسمة.

وقال رينار: «أنا ربحت هذه السنة، وسيكون دورك في الربح العام القادم. عندها ستحصل على أعلى المحصول، أما أنا فسوف أحصل على الجذور».

لكن عندما جاء فصل الربيع، وحان وقت زرع البذور سأل رينار بروين عن رأيه في زراعة اللفت. فقال بروين: «نعم، نعم، إن اللفت طعام أفضل من شعير الجاودار» هكذا ظن بروين.

وعندما جاء وقت الحصاد حصل رينار على الجذور بينما حصل بروين على الأوراق. عندها استشاط بروين غضباً لدرجة أنه أنهى شراكته مع رينار في الحال.

بوتس وأخواه

كان يا مكان في قديم الزمان رجل له ثلاثة أبناء بيتر وبول وإسبين. وكان يطلق على إسبين لقب بوتس، لأنه أصغرهم سناً. ولا أستطيع القول إن الرجل امتلك أي ثروة سوى أبنائه الثلاثة لأنه في حقيقة الأمر لم يكن لديه فلس واحد. ولذلك دأب على القول لأولاده إن عليهم أن يسعوا في الأرض بحثاً عن رزقهم، لأنه ليس من مصير متوقع في البيت غير الجوع حتى الموت.

وعلى مسافة قصيرة من كوخ الرجل كان يقع قصر الملك، وعليك أن تعلم عزيزي القارئ بأن شجرة بلوط ضخمة كانت ترتفع مقابل نوافذ القصر، وقد امتدت فروعها، وكبرت أوراقها لدرجة أنها حجبت الضوء عن قصر الملك. وقال الملك إنه سوف يعطي ذهباً كثيراً لكل من يستطيع قطع شجرة البلوط، بيد أنه لم لكن هناك من لديه الرجولة الكافية لفعل ذلك، لأنه كلما حاول المرء قطع جزء من جذع البلوطة، سرعان ما ينمو

مكانه اثنان. ورغب الملك أيضاً بحفر بئر ماءٍ لتخزين المياه طيلة العام. فجميع جيرانه يملكون آباراً أما هو فلا، ولذلك فكر أن هذا الأمر شائن ومعيب.

وقال الملك إنه سوف يمنح من يستطيع أن يحفر مثل تلك البئر التي ستحفظ الماء طوال العام، مالاً وبضائع، لكن أحداً لم يستطع فعل ذلك لأن قصر الملك كان يقع في أعلى التلة، ولم يستطيعوا أن يحفروا إلا بوصات قليلة قبل أن يصطدموا بطبقة من الصخر.

وبما أن الملك كان مصمماً على إنجاز هذين العملين، فقد أعلن في كافة كنائس المملكة وأرجائها، بأن من يستطيع قطع شجرة البلوط الموجودة في ساحة القصر، ومن يستطيع حفر البئر لتخزين المياه طوال العام فسوف يزوجه ابنته الأميرة ويعطيه نصف مملكته. حسناً، يا عزيزي القارئ، لعلك خمنّت سلفاً أن رجالاً كثيرين جاؤوا ليجربوا حظهم، بيد أن جميع محاولاتهم في القطع والشق والحفر والتنقيب باءت بالفشل، فالبلوطة تصبح أكبر وأضخم مع كل ضربة، والصخرة تزداد صلابة من دون أن تلين على الإطلاق.

وفي أحد الأيام فكّر الإخوة الثلاثة في تجريب حظهم. أما أبوهم فلم ينطق بكلمة، لأنه حتى لو لم ينجح أولاده في محاولاتهم، ولم يحصل أحدهم على الأميرة ونصف المملكة، فربما يحظون بفرصة العمل لدى سيد طيب، وهذا هو كل ما كان يرغب فيه والدهم. وهكذا عندما طلب الإخوة منه الإذن للقيام بمهتهم، أعطاهم موافقته على الفور، وانطلق بيتر وبول وإسبين في سبيلهم.

ولم يكد الإخوة الثلاثة يقطعون مسافة قصيرة حتى وصلوا إلى شجرة تنوب يرتفع على أحد جانبيها تل شديد الانحدار، ولدى مواصلتهم السير سمعوا شيئاً يتشقق ويتقطع بعيداً هناك على التل بين الأشجار.

قال بوتس: «ترى من يقوم بقطع الأشجار هناك؟».

ضحك بيتر وبول في الحال وقالا لأخيهما ساخرين: «تساؤلك ينم عن ذكاء يا إسبين. إن ما تتساءل عنه وتتعجب منه، ما هو إلا حطّاب يقطع الأشجار في أعلى التلة».

قال بوتس: «مع ذلك أريد أن أتبين الأمر». ثم صعد إلى التل.

ناداه أخواه قائلين: «لا تكن ولداً أحمق لأنك ستأخذ درساً قاسياً إذا ذهبت هناك».

لم يكترث لكلامهما وتسلّق التل باتجاه مصدر الصوت، وعندما وصل إلى هناك، ماذا تظن ياعزيزي القارئ أنه رأى؟ لقد رأى فأساً قائمة تقطع جذع شجرة تنوب وتشقه من تلقاء نفسها.

قال بوتس للفأس: «طاب يومك، هكذا إذن أنت تمارسين القطع بمفردك، أليس كذلك؟».

أجابت الفأس: «أجل، أنا هنا أمارس ذلك منذ مئات السنين، وقد كنت في انتظارك».

«أخيراً ها أنا ذا»، قال بوتس حين أخذ الفأس ونزعها من مقبضها ثم وضع رأس الفأس والمقبض في جعبته.

وعندما عاد نازلاً إلى إخويه راحا يسخران منه ويضحكان عليه. وسألاه: «ما هو الشيء الغريب الذي شاهدته هناك على سفح التل؟».

قال بوتس: «آه، إنها مجرد الفأس التي سمعنا صوتها».

وعندما ابتعدوا عن المكان قليلاً مرّوا من تحت صخرة شديدة الانحدار حيث سمعوا صوت حفر وجرف.

قال بوتس: «إنني أتعجب من هذا الحفر والجرف أعلى الصخرة هناك!».

ضحك بيتر وبول ثانية، قائلين: «آه، أنت دائماً ذكيٌ جداً حين تتعجب، وكأنك لم تسمع في حياتك صوت نقَّار الخشب وهو يقطع ويشق بمنقاره جذع شجرة أجوف».

قال بوتس: « حسناً، حسناً، أعتقد أن من الممتع تبينّ جلية الأمر».

وهكذا صعد إلى الصخرة بينما سخر منه أخواه. لكنه لم يكترث البتة لذلك وتسلق إلى أن وصل قريباً من القمة. ماذا تظن ياعزيزي القارئ أنه رأى؟ لقد رأى هناك مجرفة تحفر وتنقب في الأرض .

قال بوتس: «طاب يومك، إذاً أنت هنا تحفرين بمفردك، أليس كذلك؟».

أجابت المجرفة: «نعم، هذا ما أقوم به منذ مئات السنين، وقد كنت في انتظارك يا بوتس».

«حسناً، ها أنا ذا»، قال بوتس حين أخذ المجرفة ثم نزعها من زندها الخشبي ووضعها في جرابه وعاد أدراجه إلى أخويه.

بادره بيتر وبول: «ما هو الشيء الغريب والنادر الذي رأيته هناك على قمة الصخرة».

أجاب بوتس: «آه، لا شيء إنها مجرد المجرفة التي سمعنا صوتها».

وتابعوا سيرهم ثانية لمسافة لابأس بها حتى بلغوا جدول ماء. كان ثلاثتهم ظمئين بعد مشيهم الطويل، ولذلك استلقوا بجانب الجدول ليشربوا.

قال بوتس: «ترى من أين يأتي هذا الماء!».

قال بيتر وبول سوياً: «يبدو أنك فقدت عقلك الصغير، من أين يأتي الماء حقاً! ألم تسمع في حياتك أن الماء يتدفق من نبع في جوف الأرض؟».

قال بوتس: «نعم، ومع ذلك فلديّ شوق عظيم لمعرفة من أين ينبع هذا الجدول».

ثم سار في طريقه محاذياً للجدول رغم مطالبة أخويه له بعدم الذهاب. إلا أن شيئاً لم يثنه عن مراده. وانطلق في سبيله صاعداً وصاعداً، وأصبح الجدول أصغر وأصغر، وفي النهاية ماذا تظن يا عزيزي القارئ أنه رأى؟ لقد رأى حبة جوز ضخمة وكان الماء

يسيل منها قليلاً قليلاً.

قال بوتس: «طاب يومك، أنت هنا يسيل منك الماء من تلقاء نفسه ثم يجري للأسفل؟».

قالت حبة الجوز: «نعم أفعل ذلك، فالماء يسيل مني ويجري منذ مئات السنين وقد كنت في انتظارك يا بوتس».

«حسناً، ها أنا ذا»، قال بوتس، حين أخذ كتلة من الطحالب، وأغلق الفتحة كي لا يسيل منها الماء. وبعد ذلك وضع حبة الجوز في كيسه وركض عائداً إلى أخويه.

قال بيتر وبول: «حسناً، الآن، هل اكتشفت من أين ينبع الماء؟ لابد من أنه مشهد نادر!».

«آه، لقد كان مجرد ثقب يسيل منه الماء في نهاية الأمر». قال بوتس في حين راح الآخران يسخران منه ويستهزئان به، بيد أنه لم يكترث البتة بذلك.

وقال: «لقد استمتعت بما شاهدت على أي حال».

وبعد أن قطعوا مسافة قصيرة أخرى، وصلوا إلى قصر الملك،

وكما تذكر عزيزي القارئ أنني قلت لك في البداية إن كل من في المملكة سمع أن بإمكان أي إنسان الفوز بالأميرة والحصول على نصف المملكة، إذا استطاع أن يقطع شجرة البلوط الضخمة ويحفر بئراً للملك، ومع مجيء عدد كبير من الناس ليجربوا حظهم، أصبحت شجرة البلوط الآن أقوى وأضخم بمرتين مما كانت عليه في البداية؛ لأنه كلما قطعوا منها قطعة بفؤوسهم، نمت مكانها قطعتان.

ولذلك فرض الملك عقوبة على كل من يفشل في محاولة قطع شجرة البلوط، تقضي بنفيه إلى جزيرة قاحلة تشبه السجن إلى حد بعيد.

وعلى أي حال، لم يشعر الأخوان بأي خوف من ذلك، لأنهما كانا واثقين من قدرتهما على قطع شجرة البلوط، وكان بيتر هو الأول في المحاولة لأنه الأكبر سناً. بيد أن الأمور سارت معه كما سارت مع من سبقه ممن حاولوا قطع شجرة البلوط، فمقابل كل قطعة قطعها نمت اثنتان في مكانها. وعليه، فقد أمسك به رجال الملك وكبلا يديه وقدميه وأرسلوه إلى الجزيرة.

والآن، جاء دور بول ليجرّب حظه، لكنه واجه المصير ذاته؛ فبعد أن ضرب بفأسه ضربتين أو ثلاث بدأ الناس يشاهدون البلوطة تنمو، ولذلك أمسك به رجال الملك وكبلوا يديه وقدميه وأرسلوه إلى الجزيرة.

وجاء الآن دور بوتس في المحاولة، وقال له رجال الملك ضاحكين: «وفّر على نفسك العناء لأننا سوف نربطك ونرسلك إلى الجزيرة كما أرسلنا أخويك من قبل».

قال بوتس: «حسناً، أود أن أجرّب. وهكذا أذنوا له. فأخرج فأسه من جرابه وركّب زندها ثم قال لها: «اقطعي الشجرة»، فبدأت الفأس بالعمل مما جعل قطع الخشب تتطاير بسرعة مهولة، ولم يمر وقت طويل حتى سقطت شجرة البلوط».

وحينما أنجز ذلك، أخرج بوتس المجرفة وثبتها في زندها.

«هيا احفري»، قال بوتس للمجرفة التي راحت تحفر وتجرف حتى تطايرت الأرض والصخرة شظايا، وفي الحال أصبحت البئر جاهزة، إن كنت تصدق ذلك.

ولما أصبحت البئر كبيرة وعميقة كما أراد بوتس، عندئذ تناول حبة الجوز ووضعها في إحدى زوايا البئر، ونزع سدادة

الطحالب من الثقب. وقال لحبة الجوز: «سيلي وتدفقي» فتدفقت المياه من الثقب مثلما يتدفق الجدول، وماهي إلا فترة وجيزة حتى امتلأت البئر إلى حافتها.

قطع بوتس شجرة البلوط التي كانت تحجب الضوء عن قصر الملك، وحفر البئر لتخزين الماء على مدار العام، وهكذا تزوج الأميرة وحصل على نصف المملكة حسب ما قال الملك.

ومن حسن حظ بيتر وبول أنهما كانا في الجزيرة القاحلة، وإلا لسمعا كل يوم وساعة كل من في المملكة يقول: «حسناً، إن حب استطلاع بوتس وتساؤلاته لم تذهب سدىً».

الفتى الذي ذهب إلى الريح الشمالية

عاشت في قديم الزمان أرملة عجوز، مع ابنها وحيد. وبسبب ضعفها وهزالها طلبت من ابنها أن يذهب إلى المتجر ويحضر وجبة لتطبخها. ولكنه عندما خرج من المتجر، هبت ريح شمالية عاصفة وهو ينزل الدرج، وأمسكت بوجبة الطعام وحملتها بعيداً في الجو. حينئذ عاد الصبي إلى المتجر لشراء وجبة أخرى، بيد أنه حين خرج ثانية ونزل على الدرج، جاءت الريح الشمالية مرة أخرى وحملت معها بهبة واحدة الوجبة ثانية، والأدهى من ذلك أنها قامت بفعلتها هذه للمرة الثالثة. عندئذ استشاط الفتى غضباً، وبدا له أن الريح الشمالية تصرفت بفظاظة معه، وصمم على أن يذهب للبحث عنها، لكي يطالبها بأن تعيد له وجبته.

وهكذا انطلق الفتى، وكانت الطريق طويلة جداً، وراح يمشي ويمشي. وأخيراً وصل إلى منزل الريح الشمالية.

قال الفتى للريح: «طاب يومك وشكراً على مجيئك لرؤيتنا».

أجابت الريح الشمالية: «طاب يومك»، ثم قالت بصوت مرتفع أجش: «شكراً لك على مجيئك لرؤيتي. ما الذي تريده؟».

أجاب الفتى: «آه، رغبت فقط في أن أطلب منك أن تكوني طيبة بما فيه الكفاية، وأن تسمحي لي باستعادة الطعام الذي أخذتيه مني على درج المخزن، لأنه ليس لدينا الكثير مما نعيش عليه، وإذا واصلت خطف اللقمة التي بحوزتنا فلن يبقى أمامنا سوى المجاعة».

أجابته الريح الشمالية: «لم آخذ طعامك، لكن بما أنك بحاجة شديدة فانني سأعطيك شرشف طاولة، سوف يعطيك ما تريد، وكل ماعليك قوله: «افرش نفسك أيها الشرشف وقدّم لنا أطباق الطعام الجيدة».

وبهذا كان الفتى في غاية الرضا. وبما أن الطريق كان طويلاً، فإنه لم يستطع الوصول إلى بيته في يوم واحد، ولذلك توجه إلى نُزُلٍ صغير في طريقه. وحين جلس الجميع لتناول طعام العشاء، وضع الشرشف على الطاولة التي كانت في الزاوية وقال له: «أيها الشرشف، افرش نفسك وقدّم لنا جميع أطباق الطعام الجيدة».

ولم يكد يقول ذلك حتى فعل الشرشف ما طُلب منه، واعتقد كل من كان هناك أن ذلك أمر رائع، وكان أكثرهم إعجاباً بذلك صاحب النُزل. وهكذا، وبعد أن غطّ الجميع في النوم، أخذ شرشف الفتى ووضع آخر شبيهاً به مكانه. ولكن هذا الشرشف لا يستطيع توفير ولو كسرة خبز جافة.

وعندما استيقظ الفتى، أخذ الشرشف ورحل ووصل في ذلك اليوم إلى بيته.

وقال لأمه: «لقد ذهبت إلى بيت الريح الشمالية، وهي طيبة جداً لأنها أعطتني هذا الشرشف وعندما أقول له افرش نفسك وقدم لنا جميع أنواع الطعام اللذيذ فإنني أحصل على ما أريد».

قالت الأم: «أرجو أن يكون ذلك صحيحاً، والتجربة خير برهان».

لذا أسرع الفتى وجرَّ طاولة ووضع الشرشف عليها وقال: «أيها الشرشف، افرش نفسك وقدم لنا جميع الأطباق الشهية». لكن الشرشف لم يقدم حتى كسرة خبز جافة.

قال الفتى: «حسناً، يبدو أنه لابد من الذهاب إلى الريح الشمالية مرة أخرى». ثم مضى في طريقه.

ووصل إلى حيث تعيش الريح الشمالية، وكان الوقت مساءً.

قال الفتى: «مساء الخير».

قالت الريح الشمالية: «مساء الخير».

قال الفتى: «أريد طعامنا الذي أخذته مني، لأن الشرشف الذي أخذته لا يساوي فلساً».

قالت الريح الشمالية: «ليس عندي طعام، لكن تستطيع أخذ ذلك الكبش هناك، وسوف يصكُّ لك نقوداً ذهبية عندما تقول له: «أيها الكبش، أيها الكبش! اصنع نقوداً!»».

ظن الصبي أن ذلك شيء رائع، لكن وهو في طريقه للبيت أقام في النزل الذي أقام فيه في المرة الأولى. وقبل أن يطلب شيئاً جرّب الكبش الذي أعطته إياه الريح الشمالية، ووجد ذلك صحيحاً. وعندما شاهد صاحب النزل ذلك أعجب بالكبش، وعندما نام الفتى جاء بكبش آخر واستبدله بكبش آخر. ولم يكن في مقدور هذا الكبش أن يصنع فلساً واحداً.

في صباح اليوم التالي انطلق الفتى وعندما وصل إلى البيت، قال لأمه: «إن الريح الشمالية صديقة لطيفة، لأنها أعطتني كبشاً يستطيع صنع نقود ذهبية بمجرد أن أقول له: أيها الكبش، أيها

الكبش، اصنع نقوداً».

قالت الأم: «أرجـو أن يكون ذلك صحيحاً، لكنني لن أصدق حتى أرى النقود الذهبية».

وقال الفتى للكبش: «أيها الكبش! أيها الكبش! اصنع نقوداً»، لكن الكبش لم يستطع صنع فلس واحد.

وهكذا رجع الصبي إلى الريح الشمالية ووبّخها، وقال إن الكبش لا يساوي شيئاً، وإن عليها أن تعيد الطعام الذي أخذته منه.

قالت الريح: «ليس عندي شيء أعطيك إياه سوى تلك العصا القديمة التي في الزاوية هناك، وقالت له حينما تقول لهذه العصا: أيتها العصا، أيتها العصا، اضربي، فإنها تواصل الضرب، حتى تقول لها أيتها العصا توقفي الآن».

ولذلك شكر الفتى الريح الشمالية ومضى في سبيله، وبما أن الطريق كانت طويلة، فقد اتجه في تلك الليلة أيضاً إلى صاحب النزل، وبما أن الفتى خمَّن جيداً كيف جرى الأمر معه بشأن الشرشف والكبش، فقد اضطجع في الحال على المقعد الخشبي وبدأ بالشخير كما لو كان نائماً. الآن، ظن صاحب النزل أن

العصا لابد أن تكون لها قيمتها، فجاء بعصا تشبهها وكان يريد استبدالها بعصا الصبي لما سمع شخيره، ولكنه عندما أوشك على سرقتها، صاح الفتى بصوت عالٍ: «اضربي أيتها العصا، اضربي».

وهكذا راحت العصا تضرب صاحب النُزُل بشدة، حتى قفز من شدة الضرب فوق الكراسي والطاولات والمقاعد، وهو يصرخ ويشتكي، ثم قال للفتى: «آه، آه، أرجوك أن تأمر العصا بالتوقف وإلا فإنها ستضربني حتى الموت، سوف أرجع لك شرشفك وكبشك في الحال».

عندما رأى الفتى أن العصا أوسعت صاحب النُزُل ضرباً، أمرها قائلاً: «توقفي الآن، توقفي».

عندئذ تناول الشرشف ووضعه في جيبه، وعاد إلى البيت والعصا بيده، وهو يقود الكبش بحبل مربوط حول قرنيه، وهكذا أخذ الفتى حقه مقابل الطعام الذي خسره.

العملاق عديم قلب

كان يا ما كان في قديم الزمان ملك له سبعة أبناء، ستة منهم أقوياء وشجعان، أما أصغرهم سناً فهو صبي الموقد ليس إلا. ولابد وأنك تعلم عزيزي القارئ أنه كان يمشي وحده ولا يقول أو يفعل الشيء الكثير. وأفضل ما كان يقوم به هو الجلوس بالقرب من الموقد ومراقبة الجمرات المتوهجة، وهكذا أسموه «بوتس» ونظروا إليه باستخفاف.

الآن بعد أن كبر الأمراء الستة بدأوا يبحثون عن زوجات لهم، أما بوتس فلم يصطحبوه معهم، وبقي جالساً في البيت منتظراً أن يأتي له الآخرون بعروس، إذا وجدوا من ترغب في الزواج من أمثاله. وأعطى الملك أبناءه الستة أجمل الثياب التي يمكن أن يراها إنسان، لدرجة أنها كانت تتلألأ عن بعد، كما أعطى كل واحد منهم حصاناً أصيلاً، ثم انطلقوا.

وبعد أن جابوا أماكن عديدة ورأوا أميرات كثيرات، وصلوا إلى ملك له ست بنات. وكانت بنات الملك على درجة من

الجمال لم يروا مثيلاً لها في حياتهم. لذا خطب الأمراء البنات وتزوجوهن ثم قفلوا عائدين إلى بلادهم، لكنهم نسوا أن يحضروا عروساً لأخيهم بوتس الذي ظل قابعاً في البيت.

وعندما قطعوا مسافة قصيرة من الطريق، مرّوا بالقرب من تلة شديدة الانحدار كالجدار، حيث كان يقع بيت العملاق. وخرج العملاق من بيته وسلّط عينيه عليهم، وحول الأمراء والأميرات إلى حجارة.

وانتظر الملك عودة أبنائه، وطال انتظاره، وكذلك طال غيابهم، وهكذا لفّ الحزن والأسى الملك وما عاد يعرف للسعادة طعماً.

وفي أحد الأيام قال بوتس لأبيه الملك: «كنت أفكر في الاستئذان منك للخروج بحثاً عن إخوتي».

قال له أبوه: «لا، لا، إن ذلك لن يجدي نفعاً، لأنك لست ذكيّاً بالقدر الكافي لتعثر على إخوتك، وخيرٌ لك أن تظل قاعداً هنا تنبش في الرماد طيلة حياتك».

لكن بوتس كان عازماً على الخروج بحثاً عن إخوته، ولذا فقد رجا الملك وتوسل إليه طويلاً، حتى لم يجد الملك بُدّاً من

السماح له بالذهاب وأعطاه فرساً عجوزاً هزيلاً؛ لكنه لم يأبه لذلك، فامتطاها وانطلق قائلاً: «وداعاً يا أبي، اطمئن، فسوف أعود ويحالفني الحظ، وأرجع بإخوتي الستة وهذه الفرس التي أمتطيها».

وبعد أن سار مسافة في الطريق، صادف غُراباً مستلقياً هناك يرفرف بجناحيه. ولم يستطع الغراب الابتعاد عن الطريق من شدة الجوع. قال الغراب: «آه، يا صديقي العزيز، أرجوك أعطني قليلاً من الطعام وسوف أساعدك عندما تكون بأمس الحاجة للمساعدة».

قال الأمير: «ليس لدي الكثير من الطعام، ولا أرى كيف يمكنك أن تساعدني، ومع ذلك أستطيع إعطاءك القليل من الطعام لأنني أراك بحاجة إليه». وهكذا، أعطى الأمير الغراب بعض الطعام الذي يحمله معه.

وعندما ابتعد الأمير قليلاً، وصل إلى جدول ماء حيث وجد سمكة سلمون تتلوى على التراب غير قادرة على العودة إلى الماء مرة أخرى. قالت السمكة للأمير: «آه، يا صديقي العزيز، أرجوك أن تساعدني وسوف أساعدك عندما تكون في أمس الحاجة للعون والمساعدة».

قال الأمير: «حسناً، لن تفيدني مساعدتك كثيراً، لكن من المؤسف أن تبقي هناك وتموتي اختناقاً»، ثم أعادها إلى الجدول من جديد.

وتابع الأمير سيره الطويل حتى صادف ذئباً أصابه جوع شديد، لدرجة أنه كان يزحف على الطريق غير قادر على السير. وقال الذئب للأمير: «يا صديقي العزيز، أعطني بعض الطعام لأنني جائع جداً لدرجة أن الريح تصفر في أضلعي. ولم آكل شيئاً منذ سنتين. وحين يتوافر لدي الطعام وأتناول الغذاء، فيمكنك أن تركب على ظهري وسوف أساعدك عندما تكون أحوج ما تكون للعون والمساعدة». قال الأمير للذئب: «حسناً، إن مساعدتك لي لن تكون عظيمة الفائدة كما أظن، ولكن يمكنك أن تأخذ كل ما لدي من طعام لأنك بحاجة ماسة إليه».

وهكذا عندما تناول الذئب طعامه، وضع بوتس اللجام بين فكّيه، وأسرجه ثم انطلق مثل الريح. ولم يعرف الأمير رحلة كهذه في حياته من قبل. وبعد أن سارا مسافة قال الذئب «صاحب القوائم الرمادية» للأمير: «سوف أريك بيت العملاق». وبعد فترة وجيزة وصلا إلى هناك.

فقال الذئب للأمير: «هذا هو بيت العملاق كما ترى، وها هنا إخوتك الستة الذين حوّلهم العملاق إلى حجارة، وهذه أيضاً العرائس الست اللواتي كن سيصبحن زوجاتهم. وهناك باب يجب أن تدخله وسوف تجد أميرة تخبرك كيف تقضي على العملاق المارد الجبار، تذكّر فقط أن تنفذ ما تأمرك به».

حسناً، دخل بوتس، ولكن الحقيقة تقال، إنه كان يرتعد خوفاً. وكان المارد غائباً عن البيت، وبعد جولة في المكان عثر بوتس على الأميرة في إحدى الحجرات، تماماً كما قال الذئب. وكانت جميلة جمالاً لا يوصف.

ابتدرته عندما رأته: «آه، كان الله في عونك، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ ستكون نهايتك هنا حتماً، لأنه لا أحد يستطيع أن يجهز على المارد الجبّار. إنه وحش قاسٍ عديم القلب».

قال بوتس: «حسناً، حسناً، لكن بما أنني أصبحت هنا فلابد من أن أحاول جهدي ، لأعرف إن كنت قادراً على تحرير إخوتي الذين حوّلهم الوحش إلى حجارة. كما سأحاول بالتأكيد إنقاذك أنت أيضاً».

قالت الأميرة: «حسناً، إن كان لابد من المحاولة، فعليك أن تحاول بصورة جيدة. دعنا ندبّر خطة محكمة. ازحف تحت السرير هناك، وانتبه، واستمع جيداً للحديث الذي يدور بيني وبين العملاق الجبّار، اجلس هناك ولا تتحرك البتة».

زحف الأمير بوتس تحت السرير وما كاد يجلس جيداً حتى جاء المارد. وزمجر قائلاً: «ما رائحة الدم الآدمي هذه التي أشمها في البيت؟».

قالت الأميرة: «نعم، هنالك رائحة دم لأن غراباً جاء يحمل عظام إنسان وأوقعها في المدخنة. وقد حاولت إخراجها، لكن، ورغم كل ما فعلته، فإن رائحة الدم لا تزول بسرعة».

ولم يرد العملاق على هذا الكلام. وعندما أقبل الليل ذهب العملاق والأميرة للنوم، وبعد أن استلقيا قليلاً قالت له الأميرة: «هناك شيء يسرني أن أسألك عنه إذا واتتني الشجاعة».

قال المارد: «ما هو هذا الشيء؟».

قالت له الأميرة: «أين تحتفظ بقلبك مادمت لا تحمله داخلك؟».

أجاب المارد بقوله: «هذا الشيء لا يخصك، لكن إذا أردت أن تعرفي، فإن قلبي هناك تحت عتبة الباب».

قال بوتس لنفسه وهو مختبئ تحت السرير: «هوو، هوو، تحت عتبة الباب! قريباً سوف نرى إن كنا سنجده».

وفي صباح اليوم التالي، أفاق العملاق باكراً وخرج مسرعاً إلى الغابة، وما كاد يغادر المنزل حتى بدأت الأميرة والأمير بوتس البحث عن قلب العملاق تحت عتبة الباب، ولكن كلما حفرا أعمق، ازدادت صعوبة العثور عليه.

قالت الأميرة: «لقد أفسد العملاق علينا خطتنا، لكننا سنحاول مرةً أخرى».

وقطفت الأميرة كل الأزهار الجميلة التي وجدتها، ثم نثرتها فوق عتبة الباب التي أعاداها إلى وضعها السابق، وعندما حانت عودة العملاق، كان بوتس قد انسل تحت السرير واختبأ هناك قبل أن يصل.

وراح العملاق يشمشم. ثم قال: «آه يا عيني وأضلاعي، ما رائحة الدم الآدمي التي أشمها هنا؟».

قالت الأميرة: «أنا أعلم أن هناك رائحة دم، والسبب أن غراباً جاء يحمل عظام إنسان بمنقاره، وأسقطها داخل المدخنة، وقد أسرعت محاولة إخراجها فلم أتمكن، وهذا هو مصدر الرائحة التي تشمها».

توقف المارد عن الكلام، وبعد هنيهة سأل عمّن نثر الزهور على عتبة الباب.

قالت الأميرة: «آه، طبعاً أنا».

قال المارد: «أرجوك، ما معنى هذا كله؟».

قالت الأميرة: «آه، لقد نثرتها هناك عندما علمت أن قلبك يقع تحت العتبة».

أجاب المارد: «لا تقولي ذلك، وعلى أية حال فقلبي لا يوجد هناك».

وعندما ذهبا للنوم في المساء سألت الأميرة المارد عن مكان قلبه، لأنها متشوقة لمعرفة مكانه.

قال لها العملاق: «حسناً، إذا كان لابد من أن تعرفي، فإن قلبي موجود هناك في الخزانة المواجهة للجدار».

فكّرت الأميرة وبوتس: «هكذا إذن، سوف نكتشف ذلك قريباً».

وفي صباح اليوم التالي توجه العملاق إلى الغابة مبكّراً، وعلى الفور راحت الأميرة وبوتس يفتشان في الخزانة بحثاً عن قلبه، لكنهما لم يعثرا عليه.

قالت الأميرة: «حسناً، سوف نحاول معه مرة أخرى».

لذا زيّنت الأميرة الخزانة بطوق من الأزهار، وعندما حانت عودة المارد العملاق إلى البيت زحف بوتس أسفل السرير مرة أخرى.

وسأل المارد وهو يشم ويستنشق الرائحة: «يا عيني وأضلاعي، ما رائحة الدم الآدمي التي أشمها هنا؟».

قالت الأميرة: «أعرف أن هناك رائحة، لأنه قبل قليل جاء غراب يحمل عظمة إنسان بمنقاره، وأسقطها في المدخنة، فحاولت جاهدة إخراجها من هناك، ولكن العظمة ما زالت هناك بعد كل التعب والمعاناة».

وبعد أن سمع المارد هذا الكلام لم يتلفظ بشيء، ولكنه حين رأى الخزانة مزيّنة بأطواق الورود، سأل عمّن فعل ذلك يا ترى. ومن يوجد غير الأميرة يفعل ذلك.

سأل المارد: «لكن ما معنى كل هذا الغباء؟».

ردّت الأميرة: «لم أتمالك نفسي عندما عرفت أن قلبك هناك».

قال المارد: «كيف تكونين بهذه السذاجة كي تظنين أن قلبي هناك؟».

قالت الأميرة: «كيف لي ألا أصدق ذلك، عندما تقوله أنت بنفسك؟».

أجاب المارد: «إنك سخيفة، لأنك لن تعرفي مكان قلبي أبداً».

قالت الأميرة: «مع ذلك، سيكون من دواعي سروري أن أعرف أين قلبك».

عندها لم يستطع المارد المسكين المقاومة، وقال: «في بلاد بعيدة توجد جزيرة وسط بحيرة، وعلى الجزيرة توجد كنيسة، وفي تلك الكنيسة هناك بئر، وفي ذلك البئر تسبح بطة. وفي تلك البطة هناك بيضة، وفي تلك البيضة يكمن قلبي».

ومع بزوغ الفجر في الصباح الباكر انطلق المارد إلى الغابة.

وقال بوتس: «يجب أن أنطلق أنا أيضاً، ليتني كنت أعرف الطريق». وودّع الأميرة وداعاً مؤثّراً، وعندما خرج من بيت

المارد، وجد الذئب في انتظاره. وأخبره بوتس بكل ما جرى وأعلمه برغبته في الذهاب بسرعة إلى البئر في الكنيسة، إن كان يعرف الطريق إليها. وطلب منه الذئب الركوب على ظهره وانطلقا فوق المرتفعات والأودية والحقول، وكانت الريح تصفر خلفهم. وبعد أن سافرا لأيام عديدة، وصلا أخيراً إلى البحيرة، التي لم يعرف الأمير بوتس كيف يعبرها، لكن الذئب طلب منه ألا يخاف، وأن يتمسك به جيداً. قفز الذئب إلى البحيرة والأمير على ظهره، وسبح حتى وصلا إلى الجزيرة. وعندما بلغا الكنيسة، وجد الأمير المفاتيح معلقة في مكان عالٍ في قمة البرج، ولم يعرف كيف يصل إليها.

قال الذئب للأمير: «استدعِ الغراب».

وهكذا نادى الأمير على الغراب الذي جاء في الحال، وطار عالياً وأحضر المفاتيح، ودخل الأمير إلى الكنيسة. وعندما وصل إلى البئر كانت هناك بطة تسبح ذهاباً وإياباً، تماماً كما قال المارد العملاق. ووقف الأمير ولاطفها طويلاً، حتى جاءت إليه فأمسك بها. لكن في اللحظة التي رفعها من الماء، أسقطت البطة البيضة في البئر. ولم يجد بوتس طريقه لإخراجها.

قال الذئب: «استدع سمكة السلمون».

فنادى بوتس على السمكة، فجاءت وأحضرت له البيضة من قاع البئر. بعد ذلك، طلب الذئب من بوتس أن يعصر البيضة، وحين فعل ذلك. بدأ المارد يصرخ متوسلاً إليه أن يبقيه حياً، قائلاً إنه سوف يحقق له كل أمنياته إذا لم يشطر قلبه إلى نصفين.

قال الذئب لبوتس: «اطلب منه أن يعيد إخوتك الستة وزوجاتهم إلى الحياة، بعد أن حولّهم إلى حجارة».

أجل، كان المارد العملاق على أتم الاستعداد للقيام بذلك، وبالفعل أعاد الإخوة الستة وعرائسهم إلى الحياة. وعندها ترك بوتس قلب المارد العملاق في الكنيسة، حيث انتزع الشر منه، ولم يسمع أحد عنه شيئاً بعد ذلك.

وركب بوتس على ظهر الذئب عائداً إلى بيت المارد ليجد إخوته الستة وقد عادوا للحياة، ووقفوا سعداء إلى جانب عرائسهم. ودخل بوتس إلى التلة، وأحضر عروسه الأميرة وتوجهوا جميعاً عائدين إلى بيت أبيهم الملك. ولك أن تتخيل يا عزيزي القارئ مدى سعادة الملك، عندما رأى أبناءه السبعة عائدين بسلام. وكل منهم يصطحب عروسه. وكانت أجملهن جميعاً عروس بوتس، فقال الملك: «يجب أن يجلس بوتس وعروسه على رأس الطاولة»، وأقيم حفل زفافٍ فخم ووليمة عمت فيها الأفراح، وغنّى الحضور والسعادة تغمر وجوههم.

الخروف والخنزير اللذان تدبرا شؤون المنزل

في قديم الزمان كان هناك خروف يقيم في الحظيرة بغية التسمين.

ولذلك عاش في بحبوحة وأُتخم بأكوام من الغذاء الجيد، حتى جاءت بائعة اللبن في أحد الأيام لتقدم له المزيد من الطعام. وبعد ذلك قالت له: «كل وتمتع أيها الخروف لأنك لن تبقى هنا طويلاً، فسنذبحك في الغد».

فكر الخروف لحظة في هذا الكلام، ثم راح يأكل حتى كاد ينفجر، وعندما شبع إلى حد التخمة، نطح بقرنيه باب الحظيرة، وشق طريقه إلى المزرعة المجاورة لزيارة صديقه الخنزير الذي تربطه به منذ زمن صداقة حميمة.

قال الخروف: «طاب يومك، هل تعلم لماذا تعيش في هذه البحبوحة، ولماذا يبذلون جهداً لتسمينك؟».

أجاب الخنزير: «لا، لا أعرف».

قال الخروف: «حسناً، أنا أعرف؛ كل هذا تمهيداً لذبحك وأكلك».

قال الخنزير: «هل سيذبحونني فعلاً؟ وما العمل إذاً؟».

قال الخروف: «إذا أردت، فافعل مثلي، سوف نهرب إلى الغابة ونبني لنا بيتاً هناك».

أجل، لقد كان الخنزير راغباً بما فيه الكفاية، فقال: «الصحبة الجيدة عزاء وراحة». وهكذا انطلق الاثنان.

وبعد أن سارا قليلاً قابلا إوزة . «طاب يومكما أيها السيدان الطيبان، لماذا تذهبان بهذه السرعة هذا اليوم؟».

قال الخروف: «طاب يومك، طاب يومك. سوف نبني لنا بيتاً في الغابة وكما تعرفين إن بيت المرء قلعته».

قالت الإوزة: «حسناً، أود أن يكون لي بيت خاص بي، هل لي بمرافقتما؟».

قال الخنزير: «إن الثرثرة لا تبني بيتاً ولا إصطبلاً، فلنرَ ما يمكنك القيام به.»

قالت الإوزة: «أستطيع قلع الطحالب وحشوها في الشقوق

بين ألواح الخشب، وسيكون البيت منيعاً ودافئاً».

سمحا لها بمرافقتهما، لأن أكثر ما تمناه الخنزير هو الحصول على الدفء والراحة.

وهكذا بعد أن قطعوا مسافة أبعد قليلاً، وكانت الإوزة تحاول جاهدة مجاراتهما في المشي، قابلوا أرنباً برياً، خرج يتنطنط بمرح من الغابة. وقال لهم: «طاب يومكم أيها السادة الطيبون، إلى أيِّ مدىً ستهرولون اليوم؟».

قال الخروف: «طاب يومك، إننا متوجّهون إلى الغابة لتشييد بيت لنا، نتدبر شؤونه بأنفسنا، فكما تعلم، أنك لو جبت الدنيا، لما وجدت شيئاً مثل البيت».

قال الأرنب: «فيما يخص ذلك، فإن لي بيتاً في كل شجيرة، ولكنني غالباً ما أقول في الشتاء، لو كتب لي أن أعيش حتى الصيف فسوف أبني لي بيتاً، ولذلك أفكر جدياً بالذهاب معكم لبناء واحد على أي حال».

قال الخنزير: «أجل، لو حدث مرة وتعرضنا لمشكلة، فإننا سنستخدمك لطرد الكلاب بعيداً، لأنني لا أتصور أنك تستطيع المساهمة بشيء في بناء البيت».

قال الأرنب: «لا تسخر مني، إن لدي أسناناً لقضم الأخشاب، ومخالب لدفعها نحو الجدار، وعليه أستطيع جيداً أن أعدَّ نفسي لأكون نجاراً».

وهكذا سمحوا له بمرافقتهم والمساعدة في بناء المنزل، ولم يقل أحد أكثر من ذلك.

وحين قطعوا مسافة قليلة إضافية قابلوا ديكاً، بادرهم قائلاً: «طاب يومكم أيها السادة الطيبون، إلى أين أنتم ذاهبون هذا اليوم؟».

قال الخروف: «طاب يومك، إننا متوجهون إلى الغابة لبناء بيت، نتدبر شؤونه بأنفسنا، لأنه كما تعلم، أنك مهما شرّقت أو غرّبت فلن تجد أفضل من البيت».

قال الديك: «حسناً، إذا أذنتم لي بالانضمام إلى هذه الصحبة النبيلة، فإنني أرغب في التوجه إلى الغابة وبناء بيت».

قال الخنزير: «ها، ها، كيف يمكنك مساعدتنا في بناء بيت؟».

قال الديك: «آه، ماذا بإمكانك أن تفعل من دون ديك؟ إنني أصحو باكراً وأوقظ الجميع».

قال الخنزير: «حقاً هذا صحيح، فليأت معنا، لأن النوم هو اللص الأكبر، فهو يسرق الوقت دائماً، ولا يكترث بسرقة نصف عمر الواحد منا».

وهكذا توجهوا سوياً صوب الغابة ليشيدوا بيتاً.

قطع الخنزير الخشب، وقام الخروف بجره إلى المنزل، وكان الأرنب نجاراً فقام بقضم الأوتاد والمزاليج وألسنة الأقفال، ودقها في الجدران والسقف؛ واقتلعت الإوزة الطحالب وقامت بحشوها في الفراغات والشقوق الموجودة في ألواح الخشب. وصاح الديك، وحرص على أن لا يتأخروا في النوم صباحاً؛ وحين أصبح البيت جاهزاً وتغطى السقف بلحاء الشجر واكتسى بالقش، هناك عاشوا وحدهم مبتهجين وعلى ما يرام.

ولكن لابد من أن تعلم عزيزي القارئ، بأنه كان على مسافة قصيرة في الغابة وكر يعيش فيه ذئبان رماديان، وحين شاهدا أن بيتاً شيِّد بالقرب منهما، أرادا أن يتعرفا على جيرانهما. فاختلق أحدهما ذريعة وذهب إلى المنزل الجديد، حيث طلب ناراً لإشعال غليونه. لكنه ما إن دخل من الباب حتى نطحه الخروف نطحة فسقط على رأسه في الموقد. وراح الخنزير يعضه، والإوزة تقرضه وتنقره، والديك على ظهر البيت يصيح ويهذر، أما

الأرنب فكان خائفاً لدرجة كبيرة، ففر يتنطط للأعلى والأسفل وبدأ يخدش ويندفع مذعوراً في كل زاوية من زوايا البيت.

وبعد فترةٍ خرج الذئب.

«حسناً، لابد من أنك حظيت باستقبال حسنٍ، لأنك مكثت طويلاً. ولكن ماذا بشأن النار؟ فليس لديك غليونٌ ولا دخان»، سأله الذئب الآخر الذي كان ينتظره في الخارج.

أجاب الذئب: «أجل، أجل، حقاً إنها صحبة لطيفة. لم أكد أتخطى الباب حتى قام صانع الأحذية بضربي بقالب الأحذية. ولذلك سقطت أول الأمر على رأسي في الموقد المكشوف، وهناك جلس حدادان ينفخان في الكير، فتطاير الشرر، وقاما بضربي ولكمي بملاقطهما وكماشاتهما المتوهجة. أما الصياد، فاندفع باحثاً عن بندقيته، ومن حسن الحظ، أنه لم يعثر عليها. وفي تلك الأثناء كان هناك آخر جالساً على سطح البيت، راح يصفق بذراعيه وصاح قائلاً: «اسحبوه إلى هنا». هذا ما كان يصيح به، ولو أنه أمسك بي لما خرجت حياً على الإطلاق».

ولم يذهب الذئبان لزيارة جيرانهما بعد ذلك أبداً.

القسيس والكاتب

ذات مرة كان هناك قسيس يستقوي على من هم أضعف منه، حتى إنه كلما قابل شخصاً يقود عربته على الطريق، كان ينادي عليه من بعيد: «تنحّ عن الطريق جانباً، تنحّ عن الطريق فالقس قادم».

وفي أحد الأيام بينما يقود عربته ويتصرف كعادته، قابل الملك. «تنح عن الطريق! تنح عن الطريق!» زعق القس من بعيد. لكن الملك واصل طريقه ولم يبتعد، وإنما القسيس هو الذي تنحى بحصانه جانباً في تلك المرة، وعندما مر الملك بجانبه قال له: «عليك أن تأتي غداً إلى القصر، وإذا لم تستطع الإجابة على ثلاثة أسئلة أوجهها لك، فسوف تفقد وظيفتك نتيجة لتكبرك وغرورك».

كان هذا شيئاً مختلفاً تماماً عما أراد القس سماعه. فهو يستطيع الزعيق والاستقواء على الضعفاء، والصراخ والتوبيخ. يستطيع أن يفعل كل هذه الأمور، أما الأسئلة والأجوبة فلا تناسبه. ولذلك

انطلق إلى الكاتب الذي يقال إنه أذكى من القس، وأخبره أنه لا يفكر بالذهاب إلى الملك «لأن أحمق واحداً بإمكانه طرح أسئلة لا يستطيع أكثر من عشرة حكماء الإجابة عليها». والخلاصة أنه جعل الكاتب يذهب بدلاً منه.

أجل، انطلق الكاتب ووصل إلى القصر مرتدياً ملابس القس. وهناك قابله الملك على الشرفة وهو يحمل التاج والصولجان، وقد لاحت عليه علامات الهيبة والعظمة.

قال الملك: «حسناً، ها قد جئت إذن؟ قل لي أولاً: كم يبعد المشرق عن المغرب؟».

أجاب الكاتب: «رحلة يوم واحد».

سأل الملك: «وكيف ذلك؟».

قال الكاتب: «ألا تعلم أن الشمس تشرق في الشرق وتغيب في الغرب، وهي تفعل ذلك في يوم واحد؟».

قال الملك: «أحسنت، والآن قل لي: ماذا أساوي أنا الآن في مكاني هذا؟».

قال الكاتب: «حسناً، لقد بيع المسيح بثلاثين قطعة من فضة، وأنا لا أستطيع تقييمك بأكثر من تسع وعشرين قطعة من فضة».

قال الملك: «هذا حسنٌ، وبما أنك حكيم فربما تستطيع أن تخبرني بما أفكر به الآن؟».

قال الكاتب: «آه! أنت تظنني القس الذي أمرته بالقدوم إلى القصر، لكنك مخطئ لأني أنا الكاتب وليس القس».

قال الملك: «اغرب عن وجهي، ولتصبح أنت القس، وليكن هو الكاتب». وهذا ما حصل.

الأب بروين

في قديم الزمان، عاش رجل في أقاصي الغابة. وكان لديه العديد من الماعز والنعاج، لكنه لم يستطع الاحتفاظ بواحدة منها بسبب صاحب القوائم الرمادية، ألا وهو الذئب.

وأخيراً قال: «قريباً سأنصب فخاً لصاحب القوائم الرمادية. وهكذا شرع في إعـداد حفرة. وعندما حفرها بعمق كافٍ، وضع في وسطها وتداً، ووضع فوق الوتد لوحاً من الخشب، ثم وضع على اللوح كلباً صغيراً. وغطى الحفرة بالفروع والأغصان والأوراق، والمخلفات الأخرى، ثم نثر الثلج فوق ذلك كله، حتى لا يرى صاحب الأرجل الرمادية أن هناك حفرة بالأسفل.

وحين حلَّ الليل، أصيب الكلب الصغير بالإرهاق من الجلوس هناك: «عووو، عووو، عووو»، راح الكلب ينبح على القمر. في تلك اللحظة جاء ثعلب يتسلل ويجوس المكان، ظاناً ان الوقت مناسب لصيد فريسته، ثم قفز رأساً على عقبه وسقط مباشرة في الحفرة.

وعندما أوغل الليل قليلاً شعر الكلب الصغير بالتعب الشديد والجوع، وبدأ بالنباح والعويل: «عووو، عووو، عووو» نبح عالياً، وفي تلك اللحظة جاء ذو القوائم الرمادية يتنطط ويهرول. وظن كذلك أنه سيحصل على وجبة دسمة، فقفز وسقط في الحفرة رأساً على عقب.

وعندما اقترب الوقت من بزوغ الفجر، تساقط الثلج، وهبت ريح شمالية، وأصبح الجو بارداً جداً لدرجة أن الكلب الصغير وقف يهتز ويرتجف، وكان منهكاً جداً وجائعاً، «عووو، عووو، عووو» نبح وعوى عالياً. بعد ذلك وصل دبٌ يخبط الأرض بقوائمه بقوة، وفكر في سرّه كيف يمكنني أن أحصل على لقمة إفطار في الصباح الباكر. وراح يفكر ويفكر بين الجذوع والأغصان إلى أن سقط هو أيضاً في الحفرة رأساً على عقب.

وعندما أصبح الصبح، جاءت عجوز متسولة تمضي من مزرعة إلى مزرعة، وهي تحمل كيساً على ظهرها ثم مرت بالقرب من الحفرة. وحين وقعت عيناها على الكلب الصغير الواقف هناك وهو ينبح، لم تتمالك نفسها من الاقتراب لترى إن كان أحد الحيوانات البرية قد سقط في الحفرة خلال الليل.

وهكذا زحفت على ركبتيها ونظرت في الحفرة.

وقالت للثعلب الذي كان أول من رأته: «أخيراً وقعت في الحفرة يا رينار. إنه مكان مناسب جداً لسارقي الدجاج والطيور أمثالك»، ثم خاطبت الذئب قائلة: «إنه مكان مناسب لك أيضاً يا صاحب المخلب الرمادي. لأنك قتلت العديد من الماعز والنعاج ومزقتها إرباً، والآن يجب أن تتعذب وتعاقب حتى الموت. ليسامحني الله!»، ثم خاطبت الدب قائلة: «وأنت أيضاً يا بروين تجلس في هذه الحفرة، أنت يا قاتل الخيل، سوف نسلخ جلدك ونعلّق جمجمتك على الجدار». كانت العجوز تصرخ بصوت عالٍ وهي تنحني نحو الدب. وفجأة وقع كيسها الذي تحمله منزلقاً فوق أذنيها وسحبها للأسفل، ثم سقطت في الحفرة رأساً على عقب.

تجمع الأربعة في أسفل الحفرة، وراحوا يحملقون في بعضهم بعضاً وكل منهم في زاوية، رينار الثعلب في زاوية، وذو القوائم الرمادية في زاوية أخرى، والدب بروين في ثالثة، والعجوز المتسولة في الزاوية الرابعة.

ومع تقدم النهار بدأ رينار يتلصص وينظر خلسة ويتلوى ظاناً أنه يستطيع الخروج من الحفرة.

لكن العجوز صرخت قائلة: «ألا تستطيع أن تبقى هادئاً أيها اللص اللعين، وتتوقف عن اللف والدوران؟ انظر إلى الدبّ بروين في الزاوية كيف يجلس بوقار كوقار القاضي». ظنت العجوز أنها الآن ربما تستطيع مصادقة الدب.

ولكن في تلك اللحظة جاء الرجل صاحب الحفرة فقام أولاً بإخراج العجوز، وبعد ذلك ذبح جميع الحيوانات الموجودة هناك، ولم يوفر الدب بروين في الزاوية، ولا صاحب القوائم الرمادية، ولا رينار اللص المراوغ.

في تلك الليلة على الأقل اعتقد الرجل أنه غيّر مسار الأمور وفاز بغنيمة كبرى.

الفطيرة المحلاة

في سالف الزمان كانت هناك امرأة لها سبعة أطفال جياع، وكانت تقلي لهم فطيرة محلاة. وكانت فطيرة الحليب المحلاة هناك في المقلاة تنتفخ وتنكمش حتى صارت سميكة ولذيذة. وأصبح منظرها يثير الشهية ويسر العين. وتحلق الأطفال حولها، وكذلك جلس أبوهم الطاعن في السن ينظر إليها.

قال أحد الأطفال: «أوه، أعطيني قطعة صغيرة من الفطيرة يا أمي العزيزة، فأنا جائع جداً».

وقال الثاني: «أوه، يا أمي الحبيبة».

وقال الثالث: «أوه، يا أمي الحبيبة الطيبة».

وقال الرابع: «أوه، يا أمي الحبيبة الطيبة الحلوة».

وقال الخامس: «أوه، يا أمي الحبيبة الجميلة الطيبة الحلوة».

وقال السادس: «أوه، يا أمي الحبيبة الجميلة الطيبة الحلوة الذكية».

وقال السابع: «أوه، يا أمي الحبيبة الجميلة الطيبة الحلوة الذكية يا أحن أم».

وهكذا توسلوا جميعاً من أجل الحصول على قطعة من الفطيرة، التي التفوا حولها، وكان أسلوب الواحد منهم أجمل من الآخر، لأنهم كانوا جياعاً وطيبين.

وكان على الأم أن تقول: «أجل، أجل يا أطفال، انتظروا قليلاً حتى تتقلب الفطيرة، انتظروا حتى أقلبها، وعندئذ ستكون لديكم فطيرة لذيذة من الحليب المحلًى». انظروا كم هي منتفخة وسعيدة هناك في المقلاة».

وعندما سمعت الفطيرة كل هذا الكلام شعرت بالخوف، وفي لحظة قلبت نفسها وحاولت القفز خارج المقلاة، ولكنها سقطت على وجهها الآخر في المقلاة ثانية. وعندما راح الوجه الآخر ينقلي أيضاً وأصبحت متماسكة وثابتة، قفزت خارج المقلاة إلى الأرض وتدحرجت كالعجلة من خلال الباب نزولاً إلى أسفل التلة.

ركضت الأم وراءها وهي تصيح: «هاي، توقفي أيتها الفطيرة!». وجرت الأم خلفها بأقصى سرعة حاملة المقلاة في يد والمغرفة في اليد الأخرى، والأطفال يركضون خلفها، بينما راح أبوهم الطاعن في السن يعرج على عكازه في المؤخرة.

«هاي، هلاّ توقفت؟ أمسكوها! توقفي أيتها الفطيرة!» صرخوا جميعاً واحداً تلو الآخر، وحاولوا الإمساك بها وإيقافها وهي هاربة. ولكن الفطيرة واصلت التدحرج، واستمرت في ذلك، وفي لمح البصر ابتعدت كثيراً ولم يتمكنوا من مشاهدتها.

وهكذا بعد أن تدحرجت لفترة وجيزة قابلت رجلاً.

قال الرجل: «طاب يومك، أيتها الفطيرة».

قالت الفطيرة: «طاب يومك، ماني باني».

قال الرجل: «عزيزتي الفطيرة، لاتتدحرجي بسرعة ودعيني آكلك».

قالت الفطيرة: «لا، لا، لقد هربت من الأم والأب وسبعة أطفال جياع، وسوف أهرب منك يا ماني باني». ثم تدحرجت وتدحرجت إلى أن قابلت دجاجة.

قالت الدجاجة: «طاب يومك أيتها الفطيرة».

قالت الفطيرة: «ويومك يا هني بني».

قالت الدجاجة: «عزيزتي الفطيرة، لا تتدحرجي سريعاً، توقفي قليلاً واسمحي لي بأن آكلك».

قالت الفطيرة: «لا، لا، لقد هربت من الأب والأم وسبعة أطفال جياع، وهربت من ماني باني. وسوف أهرب منك أيضاً يا هني بني». وتدحرجت كما تتدحرج العجلة على الطريق.

وبعد ذلك التقت بديك.

قال الديك: «طاب يومك أيتها الفطيرة».

أجابته الفطيرة: «ويومك أيضاً يا كوكي لوكي».

قال الديك: «أيتها الفطيرة، ياعزيزتي لا تتدحرجي سريعاً، بل توقفي قليلاً ودعيني ألتهمك». قالت الفطيرة: «لا، لا، لقد هربت من الأم والأب وأطفالهما السبعة الجياع، وهربت من باني ماني، ومن هني بني. وسوف أهرب منك أيضاً يا كوكي لوكي». ثم تدحرجت بكل ما لديها من سرعة. وفي تلك الأثناء قابلت بطة.

فقالت البطة: «طاب يومك أيتها الفطيرة».

ردّت الفطيرة: «ويومك يا داكي لاكي».

فقالت البطّة: «أيتها الفطيرة، ياعزيزتي، لا تتدحرجي بعيداً بسرعة، توقفي قليلاً ودعيني ألتهمك».

فقالت الفطيرة: «لا، لا، لقد هربت من الأم والأب وأطفالهما السبعة الجياع، وهربت من ماني باني، ومن هني بني، ومن كوكي لوكي، والآن سأهرب منك يا داكي لاكي». ثم راحت تتدحرج أسرع من ذي قبل؛ وبعد أن تدحرجت لمسافة طويلة قابلت إوزة.

قالت الإوزة: «طاب يومك أيتها الفطيرة».

قالت الفطيرة: «ويومك أيضاً يا غوسي بوسي».

قالت البطّة: «أيتها الفطيرة، يا عزيزتي لا تتحرجي بسرعة، تريثي قليلاً ودعيني ألتهمك».

قالت الفطيرة: «لا، لا، لقد هربت من الأم والأب وأطفالهما السبعة الجياع، وهربت من ماني باني، ومن هني بني، ومن كوكي لوكي، ومن داكي لاكي، وسوف أهرب منك أيضاً يا غوسي بوسي». وراحت تتدحرج.

وهكذا بعد أن تدحرجت لمسافة طويلة قابلت ذكر الإوز.

قال ذكر الإوز: «طاب يومك أيتها الفطيرة».

أجابته الفطيرة: «ويومك أيضاً يا غاندر باندر».

قال: «أيتها الفطيرة، يا عزيزتي لا تتدحرجي بسرعة، تريثي قليلاً ودعيني أحصل على قضمة».

قالت الفطيرة: «لا، لا، لقد هربت من الأم والأب وأطفالهما السبعة الجياع، وهربت من ماني باني، ومن هني بني، ومن كوكي لوكي، ومن داكي لاكي، ومن غوسي بوسي، وسوف أهرب منك أيضاً يا غاندر باندر». ثم تدحرجت بأسرع ما يمكنها.

وهكذا بعد أن تدحرجت لوقت طويل، قابلت خنزيراً.

قال الخنزير: «طاب يومك أيتها الفطيرة».

قالت الفطيرة: «ويومك أيضاً، يا بيجي ويجي». ومن دون أن تنطق بكلمة بدأت تتدحرج وتتدحرج خوفاً على حياتها الغالية.

قال الخنزير: «لا، لا، لا داعي لهذه العجلة، فنحن نستطيع أن نسير جنباً إلى جنب عبر الغابة، لأنهم يقولون إنه ليس بالمكان

الآمن كثيراً هناك».

اعتقدت الفطيرة أنه ربما يكون بعض الوجاهة في هذا القول، ولهذا ترافقا سوياً. ولكنهما عندما سارا لفترة، وصلا إلى جدول ماء صغير. أما الخنزير فكان سميناً يستطيع السباحة عبر الجدول، لكن الفطيرة المسكينة لا تستطيع العبور.

قال الخنزير: «اجلسي على خطمي وسوف أحملك عبر الجدول».

وهكذا فعلت الفطيرة ذلك.

قال الخنزير: «هوف، هوف»، وابتلع الفطيرة بلقمة واحدة، وبما أن الفطيرة المسكينة لم تعد قادرة على التدحرج، فالقصة كذلك لا يمكن أن تذهب أبعد من ذلك أيضاً.

كيف صار البحر مالحاً؟

كان يا ما كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان، كان هناك أخوان أحدهما غني والآخر فقير. وفي إحدى أمسيات عيد الميلاد، لم يكن لدى الأخ الفقير كسرة خبز أو قطعة لحم. لذلك ذهب إلى أخيه يطلب منه شيئاً يحتفل به في عيد الميلاد. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يُجبر فيها الأخ الغني على مساعدة أخيه، وبما أنه كان بخيلاً، فلم يكن مسروراً برؤية أخيه الفقير، لكنه قال له: «سوف أعطيك قطعة كاملة من اللحم المدخّن ورغيفين من الخبز، وشموعاً، إذا لم تضايقني بعد ذلك. ولا تنس بأنني لا أريدك أن تطأ بيتي بقدميك من الآن فصاعداً».

وتعهّد الأخ الفقير بأنه لن يفعل، وشكر أخاه على المساعدة التي قدّمها له ثم عاد إلى بيته. ولم يقطع سوى مسافة قصيرة قبل أن يلتقي شيخاً ذا لحية بيضاء، وبدا عليه الوهن والتعب والجوع، وكان منظره يثير الشفقة.

قال الشيخ: «بالله عليك ! أعطني لقمة آكلها فأنا فقير».

قال الأخ الفقير: «لقد كنت الآن أستجدي لنفسي، لكنني لست فقيراً للحد الذي لا أستطيع أن أعطيك شيئاً في هذه المناسبة المباركة». وأعطى الرجل الفقير شمعةً ورغيف خبز وكان على وشك أن يقطع له شريحة من اللحم المدخّن، عندما استوقفه الشيخ قائلاً: «ذلك يكفي ليبقيني على قيد الحياة». ثم قال: «الآن سأخبرك شيئاً. ليس ببعيد من هنا يوجد مدخل بيت لأناس يعيشون تحت الأرض، ولديهم مطحنة تطحن أي شيء يريدونه ما عدا اللحم المدخّن، وأرجو أن تذهب إلى هناك. وعندما تدخل سوف يقبلون عليك راغبين في شراء اللحم المدخّن. ولكن لا تبعه حتى تحصل على المطحنة لقاء ذلك، وهي موجودة خلف الباب، وعندما تخرج سأعلّمك كيف تديرها».

وهكذا شكر الأخ الفقير الرجل على نصيحته، واتّبع التعليمات التي سمعها من الشيخ، وسرعان ما وجد نفسه يقف على باب الجماعة التي تعيش أسفل الأرض.

وعندما دخل الرجل، سار كل شيء كما أخبره عنه الشيخ. وجاء الجماعة كبيرهم وصغيرهم يتزاحمون مثل النمل، وكل واحد يحاول أن يزايد على الآخر من أجل الحصول على اللحم المدّخن.

قال الرجل: «حسناً، حقاً لقد كنت أنا وزوجتي نريد إعداد هذا اللحم للعشاء بمناسبة عيد الميلاد، لكن بما أنكم جميعاً تودون الحصول عليه، فسوف أعطيكم إياه مقابل المطحنة الموجودة هناك خلف الباب».

وفي البداية لم يسمع شعب التلة بمثل هذه الصفقة، فساوموا الرجل وجادلوه، لكنه تمسّك بما قاله، وأخيراً قبلوا مبادلة الطاحونة باللحم.

وعندما خرج الرجل من المغارة وتوجه نحو الغابة حيث قابل الشيخ المتسول ذاته وسأله كيف يستعمل المطحنة. وبعد أن تعلّم كيف يستخدمها، شكره ثم توجه إلى بيته بأقصى سرعة. ولكن الساعة دقت الثانية عشرة بمناسبة عيد الميلاد قبل أن يصل إلى بيته.

قالت له زوجته: «في أي مكان من العالم كنت يا تُرى؟ لقد جلست هنا ساعة بعد ساعة، أنتظر وأراقب الطريق، مثل عصاتي

العصيدة اللتين توضعان تحتها، عندما يتم إعدادها بمناسبة عيد الميلاد».

قال الرجل: «أوه، إنني لم أتمكن من العودة قبل ذلك، لأنه كان عليّ الذهاب مسافة طويلة، وبعد ذلك ذهبت لأمر ما، ولكن الآن سترين ما ترين».

وهكذا وضع المطحنة على الطاولة، ثم أمرها بأن تطحن مخرجة له الشموع، وشرشف الطاولة، وحبوب الشعير، وهكذا حتى أصبح كل شيء معدّاً بشكل جيد لمائدة عيد الميلاد. وما كان عليه سوى أن يقول كلمته حتى تبدأ المطحنة بإنتاج أي شيء أراده. وراحت العجوز تشكر الله على نعمته وتسأله من أين حصل على هذه المطحنة، لكنه رفض إخبارها.

قال لها: «لا يهم من أين حصلت عليها، والمهم أنك ترينها، وهي مطحنة جيدة لا تتوقف عن العمل، وهذا يكفي».

وهكذا قام الرجل بطحن الطعام، وأعدَّ الشراب والأشياء الطيبة التي يحتاجون إليها طيلة أيام عطلة عيد الميلاد، وفي اليوم الثالث قام بدعوة كل أصدقائه وأقربائه إلى بيته وأقام وليمة كبرى.

وعندما رأى أخوه الغني ما وضع من أطعمة وشراب على

الطاولة، وما كان موضوعاً في الخزائن، استشاط غضباً لأنه لم يطق أن يرى أخاه يمتلك كل هذا الطعام.

وقال الأخ الغني للحضور: «هذا الطعام لعيد الميلاد فقط، إن أخي فقير جداً، حتى إنه جاء متوسلاً إلي كي أعطيه لقمة طعام، وها هو الآن يقيم وليمة كما لو كان أميراً أو ملكاً».

ثم توجه إلى أخيه قائلاً: «من أين لك كلّ هذه الثروة؟». قال له أخوه: «من وراء الباب» ولم يرغب بإخباره عن موضوع المطحنة. ولكن في وقت متأخر من المساء، شعر بالفرح، ولم يستطع الاحتفاظ بالسر لوقت أطول، فأحضر المطحنة وقال لأخيه: «إن ما تراه هو ما جلب لي كل هذه الثروة»، ثم جعل المطحنة تطحن كل الأشياء.

وعندما رأى أخوه الغني المطحنة، قرّر الحصول عليها، وبعد حديث ونقاش اتفقا على أن يستأجر أخوه المطحنة وقت موسم الحصاد، ويدفع له أجراً مجزياً. والآن، يمكنك أن تتخيل عزيزي القارئ بأن المطحنة لم تصدأ بسبب رغبتها في العمل الذي أمرها الأخ الفقير أن تنجزه، ذلك أنه أمرها أن تطحن طعاماً وشراباً يكفي لعدة سنوات. وعندما حان وقت الحصاد، استعار الأخ الغني المطحنة، ولكنه كان في

عجلة من أمره لجعلها تدور لدرجة أنه نسي كيف يسيطر عليها .

وعندما حان المساء، أعاد الأخ الغني الطاحونة إلى البيت، وفي صباح اليوم التالي أمر زوجته بالخروج إلى البيدر لتذرّي القش بينما يجز الحشاشون العشب، في حين يبقى في البيت لتحضير طعام العشاء. وعندما اقترب وقت العشاء، وضع المطحنة على طاولة المطبخ وقال لها: «اطحني السمك والمرق بصورة جيدة وبسرعة». وبدأت المطحنة تطحن السمك وتعد المرق. وفي البداية امتلأت جميع الأطباق والقدور حتى تغطت أرض المطبخ من كثرة الصحون والقدور. فتل الرجل المطحنة ولفّها لجعلها تتوقف، لكنه لم يفلح واستمرت تطحن فارتفع المرق عالياً خلال فترة وجيزة حتى أوشك الرجل على الغرق. قام بفتح باب المطبخ وركض باتجاه الصالون، لكن سرعان ما طحنت المطحنة الردهة أيضاً وكاد الرجل يفقد حياته، لولا أنه أمسك بسقاطة الباب وهو في خضم سيل المرق الجارف. وحين تمكن من فتح الباب، ركض خارجاً إلى الطريق، يلاحقه سيل من الأسماك والمرق مزمجراً بصوت عالٍ كهدير شلّال الماء فوق المزرعة.

وظنت امرأته العجوز التي كانت في الحقل تذّري القش أن

وقت العشاء قد حان منذ فترة طويلة، وقالت: «بما أنه لم يدعنا للعشاء، فلنذهب لوحدنا، لأنه ربما وجد صعوبة في غلي المرق، وسيكون سعيداً بمساعدتي له».

وكان الرجال راغبين في العودة. لذا فقد هرولوا في سيرهم نحو البيت، وعندما وصلوا أعلى التلة تفاجأوا بأسراب السمك، وسيل المرق يندفع ويرتطم ببعضه بعضاً كأنه سيل عارم، في حين كان صاحب البيت يهرول أمامه طلباً للنجاة. وعندما مر من جانبهم نادى عليهم قائلاً: «كلوا، اشربوا، كلوا، اشربوا، ولكن انتبهوا كي لا تغرقوا في المرق».

وركض بقدر ما أسعفته رجلاه صوب بيت أخيه، حيث توسل إليه واستحلفه أن يسترد المطحنة في الحال، قائلاً له: «إذا استمرت المطحنة في العمل ساعة أخرى فسوف يبتلع السمك والمرق المنطقة كله». وهكذا أخذ الأخ الفقير المطحنة ولم يمض وقت طويل حتى توقفت عن إعداد السمك والمرق.

وأقام في المزرعة بيتاً أجمل من بيت الغني، وطحن الكثير من الذهب لدرجة أنه طلا البيت بصفائح من الذهب. وبما أن المزرعة كانت تقع بجانب البحر، فقد كان بريق البيت يتلألأ من بعيد فوق سطح البحر، وكل من أبحر بالقرب منه كان

يضع مرساه لرؤية الرجل الثري صاحب البيت الذهبي ولرؤية الطاحونة العجيبة التي ذاع صيتها في طول البلاد وعرضها، حتى لم يتبق أحد لم يسمع بها.

وفي يوم من الأيام، جاء ربان سفينة لرؤية الطاحونة، وكان أول شيء سأل عنه إذا كانت الطاحونة تستطيع أن تطحن الملح.

قال مالك الطاحونة: «تطحن الملح! أظن أنها تستطيع. إن بمقدورها أن تطحن أي شيء».

عندما سمع البحار ذلك قال إنه لابد من أن يمتلك الطاحونة، وفكر أنه لو حصل عليها، فلن يكون بحاجة إلى الإبحار في رحلات طويلة وسط بحور هوجاء من أجل حمولة ملح. وكان يفضل الجلوس في البيت يدخن الغليون.

حسناً سمح الرجل للبحّار بالحصول على الطاحونة، وكان البحار في عجلة من أمره للحصول عليها، لدرجة أنه لم يكن لديه وقت ليسأل عن كيفية السيطرة عليها. وركب سفينته بأسرع ما يمكن ونشر شراعه مبحراً. وبعد أن أبحر مسافة في عرض البحر، أحضر الطاحونة على ظهر السفينة وقال لها: «اطحني الملح بسرعة وبصورة جيدة».

وهكذا بدأت الطاحونة بسحق الملح حتى انهمر كالماء.

وعندما حصل البحّار على حمولة كاملة من الملح، حاول إيقاف المطحنة، إلا أن الجهود التي بذلها في إيقافها ذهبت سدىً، واستمرت الطاحونة تعمل وكوم الملح يزداد علواً فوق علو، واخيراً غرقت السفينة.

وهناك في قاع البحر تربض الطاحونة، وهي لا تزال تطحن حتى يومنا هذا، وهو ما يفسر ملوحة ماء البحر كما يقول بعض الناس.

عروس الإقطاعي

في مرة من المرات كان هناك إقطاعي غني جداً، وكان يمتلك مزرعة كبيرة، ولديه الكثير من الفضة التي يحملها على وسطه، إضافة إلى الأموال المكنوزة؛ بيد أنه كان يفتقر إلى شيء واحد، وهو الزوجة.

وفي أحد الأيام كانت ابنة جاره الفقير تعمل لديه في البيدر. وأعجب الإقطاعي بها كثيراً، واعتقد أنه لو فاتحها بموضوع الزواج فإنها ستوافق فوراً على الارتباط به بكل سرور لأنها ابنة رجل فقير. فقال لها: «إنني أفكر في الزواج».

ردت الصبية وهي تقف هناك مبتسمة في سرها: «حسناً، ربما يفكر المرء في أشياء كثيرة». وقد اعتقدت فعلاً، أن على هذا الشيخ أن يفكر في شيء يليق به، بدلاً من التفكير في الزواج في تلك المرحلة من العمر.

قال لها: «الآن، كما تعلمين، فإنني أفكر في أن تكوني زوجة لي».

قالت الصبية: «لا، شكراً لك، هذا شرف كبير لي».

لم يعتد الإقطاعي أن يخالفه أحد الرأي، وهكذا فإنه كلما ازداد رفض الصبية، ازدادت رغبته فيها. لكنها لم تودّ الاستماع له مطلقاً. ولذلك استدعى الرجل والد البنت وقال له إذا استطاع ترتيب المسألة، وإقناع ابنته بالزواج منه، فإنه سوف يسامحه بالمال الذي أقرضه إياه، ويعطيه قطعة الأرض القريبة من مرجه كجزء من الصفقة.

قال والد الفتاة: «أجل، أجل، ثق بأنني سأعيد البنت إلى رشدها، إنها مجرد طفلة لا تعرف مصلحتها».

ولكن لم تفلح كل أساليب الملاطفة والمداراة، وكذلك باءت كل أنواع التهديد بالفشل. فالصبية لن تقبل بهذا الشيخ البخيل حتى لو غمر نفسه بالذهب إلى أذنيه.

انتظر الإقطاعي وطال انتظاره، ولكنه في نهاية الأمر ثار غاضباً وطلب من والد الفتاة حسم الموضوع في الحال، إن كان يتوقع منه الالتزام بالصفقة، لأنه لن ينتظر بعد الآن.

ولم يعرف والد الفتاة طريقاً للخروج من هذا المأزق سوى أن يطلب من الشيخ الغني الاستعداد للزواج، وعندما يصل القس

والمدعوون إلى حفل الزفاف، عليه أن يرسل في طلبها، كأنه يريدها للقيام بعمل في المزرعة، وعندما تصل إلى هناك يقومون بتزويجها في الحال، حتى لا يكون أمامها وقت للتفكير في الأمر.

وحين وصل الضيوف، نادى الإقطاعي أحد الصبية الذين يعملون في مزرعته، وأمره بالذهاب سريعاً إلى جاره ليطلب منه إرسال ما وعد به فوراً.

وقال للصبي مهدداً وهو يلوح بقبضته: «إذا لم ترجع بها في لمح البصر، فإنني سوف ...».

وما كاد ينهي كلامه، حتى انطلق الصبي كأن أحداً أطلق عليه النار.

وعندما وصل الصبي إلى بيت الجار الفقير قال له: «أرسلني سيدي من أجل ما وعدته به، أرجوك، أسرع لأن سيدي مشغول جداً اليوم».

أجابه الجار قائلاً: «أجل، أجل، أركض نحو الحقل وخذها معك، إنها هناك».

هرول الصبي مسرعاً، وعندما وصل إلى المرج، وجد الفتاة تذري القش.

قال الصبي: «علي أن أحضر لسيدي ما وعد به أبوك».

وفكرت الفتاة في نفسها: «آها، هل هذا ما هما بصدده». وبغمزة ماكرة من عينها قالت للصبي: «أوه، نعم، إنها مهرتنا الصغيرة هذه على ما أعتقد، اذهب وخذها معك، فهي مربوطة هناك على الجانب الآخر من حقل البازلاء».

قفز الصبي على ظهر المهرة وقادها إلى البيت بأقصى سرعة.

قال الإقطاعي: «هل أحضرتها معك».

أجاب الصبي: «إنها بالباب».

قال الشيخ: «خذها إلى غرفة أمي في الأعلى».

قال الصبي: «ولكن يا سيدي، كيف أفعل ذلك؟».

قال الشيخ: «افعل ما آمرك به، وإذا لم تستطع السيطرة عليها لوحدك، اطلب مساعدة الرجال». لأن الإقطاعي اعتبر أن

الصبية ربما تكون عنيدة.

وعندما رأى الصبي تعابير وجه سيده، عرف أن لا فائدة من الجدال. فخرج وطلب مساعدة جميع من في المزرعة. فقام بعضهم بسحبها من رأسها وقائمتيها الأماميتين، في حين دفعها آخرون من الخلف، وأخيراً تمكنوا من جعل المهرة تصعد على الدرج وإيصالها إلى الغرفة. وهناك كانت كل ملابس العرس وأدوات الزينة جاهزة.

قال الصبي وهو يمسح جبينه المبلل بالعرق: «حسناً، تم الأمر يا سيدي، ولكن ذلك أسوأ عمل قمت به في هذه المزرعة على الإطلاق».

أجاب سيده قائلاً: «لا بأس، لا بأس، عملك لم يذهب سدىً». ثم أخرج قطعة فضية لامعة من جيبه وأعطاها للصبي.

قال الإقطاعي: «ابعث النسوة لكي يزينها».

قال الصبي: «ولكنني أريد أن أقول يا سيدي...».

قاطعه الشيخ صائحاً: «لا تفتح فمك بكلمة واحدة، قل لهم أن يمسكوها جيداً وهم يلبسونها، وأن لا ينسوا أن يضعوا الإكليل والتاج على رأسها».

ركض الصبي إلى المطبخ ونادى قائلاً: «اسمعن أيتها الفتيات، عليكن أن تصعدن إلى الطابق العلوي، وتجهزن المهرة وكأنها العروس، فأنا أفترض أن سيدنا يريد أن يمازح ضيوفه».

ضحكت النساء طويلاً، وركضن للطابق العلوي، وجهزن المهرة، ثم ذهب الصبي وأخبر سيده بأنها جاهزة بالإكليل والتاج وكل شيء.

قال الإقطاعي: «أحسنت، أنزلها، وسوف أستقبلها عند الباب بنفسي».

كان هناك خبط وطقطقة على السلم لأن العروس كما تعلم يا عزيزي القارئ لم تكن تلبس خفاً حريرياً.

وعندما فتح الباب، ودخلت عروس الإقطاعي الغرفة، يمكنك أن تتخيل عزيزي القارئ، مدى الضحك والقهقهة التي عمت المكان.

ويقال إن الإقطاعي لم يتودّد لفتاة أخرى على الإطلاق.

بيك

في قديم الزمان كان هناك رجل وكانت له زوجة وكان لهما ابن وابنة توأم متشابهان تماماً ويصعب التمييز بينهما إلا عن طريق اللباس. وقد أطلق على الصبي اسم «بيك». ولم ينفع هذا الصبي والديه كثيراً حين كانا على قيد الحياة، لأنه لم يكن يأبه لشيءٍ سوى الضحك على الناس وخداعهم والتدليس عليهم، فقد كانت لديه حيل كثيرة ومقالب عديدة، لدرجة أنه لم يترك أحداً ينعم بالهدوء والراحة. وعندما توفي والداه، ازدادت الأمور سوءاً. إذ لم يكن مستعداً للقيام بأي عمل، وكل ما فعله هو تبذير جميع ما تركه له أبواه.

أما أخته فكانت تكد وتتعب، غير أن ذلك لم يحقق فائدة كبيرة. وأخيراً قالت لأخيها: «إن من السخف والحمق ألا يقدم الإنسان شيئاً لبيته»، وأضافت: «كيف ستعيش بعد أن تهدر كل شيء؟».

قال بيك: «آه، سوف أخرج وأستغفل شخصاً ما».

قالت الأخت: «نعم يا بيك، إنني متأكدة أنك ستفعل ذلك عمّا قريب».

قال بيك: «حسناً، سوف أحاول».

أخيراً لم يعد لديهما ما يقيتهما، لأن لكل شيء له نهاية. وخرج بيك من البيت وظل يمشي حتى وصل إلى قصر الملك.

الآن، يجب ان أخبركم أن هذا الملك وزوجته الملكة وابنتهما الكبرى كانوا طواغيت وأغبياء وثرثارين، ولم يكن الشعب يكن لهم أي محبة أو مودة.

وعندما وصل بيك إلى قصر الملك، كان الملك واقفاً في شرفة القصر، وحالما وقعت عيناه على الفتى قال له: «إلى أين أنت ذاهب اليوم يا بيك؟».

قال بيك: «كنت خارجاً لأرى إن كان باستطاعتي خداع أي شخص».

قال الملك: «ألا تستطيع أن تخدعني الآن؟».

أجاب بيك قائلاً: «لا، إنني متأكد من عدم استطاعتي، لأني نسيت عصي الخديعة».

قال الملك: «الا تستطيع أن تذهب وتحضر العصي، سوف أكون سعيداً عندما أكتشف أنك ماهر في الخداع كما يقول الناس».

قال بيك: «لقد خارت قواي ولا أستطيع السير».

قال له الملك: «سوف أعيرك حصاناً وسرجاً».

قال بيك: «لكنني لا أستطيع ركوب الخيل».

قال الملك: «سوف نرفعك على ظهر الحصان، عندها تستطيع تثبيت نفسك والتشبث به».

حسناً، وقف بيك يحك رأسه كأنه يريد شدَّ شعره، ثم جعلهم يرفعوه إلى السرج، حيث جلس يتأرجح من جهة إلى أخرى، فضحك الملك حتى سالت الدموع من عينيه لأنه لم يشاهد في حياته مثل تلك الهيئة على ظهر حصان. وعندما سار بيك وسط الغابة خلف التلة بعيداً عن أنظار الملك، انتصب على ظهر الفرس وعدَّل جلسته وتمسك بالحصان جيداً ثم انطلق بأقصى ما لدى الحصان من

سرعة. وحين وصل إلى البلدة، باع الحصان والسرج.

وفي هذه الأثناء كان الملك يصعد وينزل منتظراً عودة بيك ليراه وهو يتأرجح في مشيته حاملاً عصيَّ الخداع بيديه. وكان الملك يضحك من حين لآخر عندما يتذكر منظر الفتى التعيس وهو جالس على ظهر الحصان مثل كيس الذرة الذي لا يعرف على أي جهة سيسقط. وطال انتظار الملك، ولكن بيك لم يعد، وهكذا عرف الملك أن الحيلة انطلت عليه، وأن بيك خدعه حتى من دون العصي. عند ذاك بدأت قصة أخرى فقد غضب الملك غضباً شديداً وخرج يبحث عن بيك لكي يقتله.

لكن بيك عرف اليوم الذي سيأتي فيه الملك، فأخبر أخته أن تضع على النار القِدْر الكبيرة وفيها كمية قليلة من الماء. وعندما دخل الملك سحب بيك القدر عن النار وركض بها إلى لوح التقطيع وراح يطبخ العصيدة على اللوح الخشبي.

تعجب الملك مما رأى، وزادت دهشته إلى حد كبير، لدرجة أنه نسي ما جاء من أجله.

قال الملك: «ماذا تريد مقابل هذه القدر؟».

أجاب بيك: «لا يمكنني الاستغناء عنها».

«لم لا»، قال الملك: «سوف أدفع لك الثمن الذي تريد».

قال بيك: «لا، لا، إنها توفر علي المال والوقت وأجرة الحطب وتقطيعه وحمله بالعربة».

قال الملك: «لا عليك، سوف أعطيك ما تريد. صحيح أنك خدعتني وأخذت الحصان والسرج واللجام أيضاً، لكن ذلك كله لا يهم إذا أعطيتني القدر».

قال بيك: «حسناً، إذا كان لابد من ذلك، فخذها».

وعندما وصل الملك إلى القصر ودعا ضيوفه وأقام وليمةً وكان لابدّ من أن يطبخ اللحم في القدر الجديدة، ولذلك أخذ الملك القدر ووضعها في ساحة القصر. وظن الضيوف أن الملك فقد صوابه، وبدأ كل واحد يلكز الآخر بمرفقه، ويسخرون منه. وأخذ الملك يدور حول القدر وهو يقهقه ويثرثر قائلاً: «حسناً، انتظروا لحظة، انتظروا لحظة، سوف تغلي في الحال».

ولكن لم يحدث أي غليان. وهكذا عرف الملك أن بيك خدعه ومرَّر عليه الحيلة من دون عصي الخداع، وعليه قرر الملك الانطلاق في الحال لذبح بيك.

وعندما وصل الملك كان بيك يقف بباب الزريبة حيث سأله:

«ألم تعمل القدر؟».

رد الملك وهو على وشك أن يستل سكينه: «لا، لم يكن هناك غليان، وسوف تنال عقابك على ذلك».

قال بيك: «إنني أصدق ذلك، لأنك لم تأخذ لوح الخشب الذي يقطع عليه اللحم».

قال الملك: «أتمنى أن أصدق أنك لا تخبرني بسلسلة من الأكاذيب».

قال بيك: «أقول لك بصدق إن القدر لم تعمل بسبب لوح الخشب الذي ترتكز عليه ومن دون ذلك فهي لن تغلي».

قال الملك: «حسناً، ماذا تريد مقابل اللوح؟».

إنه يساوي ضعف ثمن القدر، لكن من أجل خاطر الملك، سأبيعه بنصف الثمن. أخذ الملك لوح التقطيع وانطلق عائداً إلى القصر. وعندما وصل دعا الضيوف وأقام وليمة، ثم وضع القدر على لوح التقطيع في وسط الغرفة. ظن الضيوف أن الملك كان سخيف العقل ومجنوناً، وبدأوا يسخرون منه، بينما هو يقهقه ويتمتم حول القدر ثم قال بصوت مرتفع: «انتظروا قليلاً، الآن

ستغلي القدر خلال ثوان».

لكن شيئاً من هذا لم يحدث. وراح الملك ينتف شعره من الغيظ، ثم قال إنه سيخرج في الحال ليقتل الصبي، ولن يوفره هذه المرة بأي حال من الأحوال.

استعدَّ بيك للقاء الملك بحيلة جديدة. فقد ملأ كيساً مصنوعاً من الجلد بالدم، وحشاه في صدر أخته، وأخبرها ماذا تقول للملك.

صرخ الملك بصوت هادر: «أين بيك». وكان هائجاً لدرجة أنه تأتأ وتلعثم في الكلام.

قالت أخته: «المسكين بيك لايستطيع تحريك يده أو قدمه، وهو يحاول الآن أن يأخذ غفوة».

قال الملك: «أيقظيه فوراً!».

قالت أخته: «لا، إنني لا أجرؤ، فسوف يغضب غضباً شديداً».

قال الملك: «حسناً، أنا أشد غضباً منه، وإذا لم توقظيه، فسوف أوقظه أنا بطريقتي، وربّت على السكين التي كان يحملها على جنبه».

«حسناً سوف أذهب وأوقظه». لكنها عندما فعلت ذلك تقلب بيك في سريره واستل سكيناً وطعن كيس الدم الذي كانت تضعه في صدرها، فانبثق الدم وتدفق، فسقطت على الأرض كالميتة.

قال الملك: «ما أسوأك من إنسان! لقد قتلت أختك أمام ناظري!».

قال بيك: «آه، لا مشكلة لديها ما دمت أنا حياً، ثم تناول قرن كبش وبدا يطوّط فيه - طوط -طوط - طوط - وينفخ عليها بالقرن، فنهضت أخته ووقفت على قدميها كأن لم يحث لها شيء.

قال الملك: «ياعزيزي بيك! هل تستطيع قتل الناس وبعث الحياة فيهم من جديد؟ هل تستطيع ذلك؟».

قال بيك للملك: «عجباً؟ كيف أستطيع الاستمرار لو أنني لا أقدر على ذلك؟ إنني أقتل كل من أقترب منه، ألا تعلم بأن لي مزاجاً سيئاً جداً؟».

قال الملك: «إنني حاد الطبع أيضاً، ولابد من أن أحصل على القرن، وسوف أعطيك المال الكثير مقابل ذلك، إضافة إلى أنني سوف أسامحك على خداعي وسرقة حصاني واستغفالي بخصوص القدر ولوح التقطيع وكل شيءٍ آخر».

كره بيك التخلي عن القرن، إلا أنه إكراماً للملك قبل بأن يتنازل عنه. وتوجه الملك عائداً لقصره وما كاد يصل حتى جرب القرن.

وهكذا تشاجر الملك مع زوجته الملكة وابنته الكبرى وتصايحوا، فرددن عليه بالمثل، لكن قبل أن تعلم الملكة وابنتها بما يجري، أخرج الملك سكينه وحزَّ رقبتيهما فوقعتا على الأرض صريعتين. وهربت البنتان الأخريان من شدة الخوف خارج القصر.

مشى الملك ودار حول الجثتين وهو يقول إنه لا مشكلة هناك ما دام حياً، واستل القرن وبدأ ينفخ فيه «طوط – طوط – طوط»، واستمر ينفخ فيه بكل قوته طيلة ذلك اليوم والذي تلاه لكنه لم يستطع بعث الحياة في زوجته وابنته من جديد، لأنهما ماتتا وظلتا ميتتين. وشعر الناس في تلك المملكة بالسعادة للتخلص من هاتين البغيضتين، وتمنوا أن يقضي شخص ما على الملك، كي يأتي ملك أفضل منه.

بات الملك أشد غضباً منه في أي وقت مضى، وصمم على الذهاب مباشرة إلى بيك وقتله.

عرف بيك أن الملك قادم إليه فقال لأخته: «يجب أن نتبادل ملابسنا، فألبس ثيابك وتلبسين ثيابي، ثم تخرجين مسرعة، فإذا فعلت ذلك، ربما تحصلين على كل ما لدينا، وهكذا استبدلت ملابسها بملابسه وحزمت حاجياتها، وخرجت بأقصى ما لديها من سرعة، في حين ظل بيك وحيداً يجلس مرتدياً ملابس أخته.

صاح الملك بصوت مجلجل وهو يدخل الباب بغضب عارم: «أين بيك».

أجاب بيك قائلاً: «لقد هرب عندما علم أن جلالتك قادم، وقد تركني من دون كسرة خبز، أو حتى قرش في كيس». وتظاهر بأنه آنسة لطيفة وجميلة.

قال لها الملك: «تعالي إلى قصري وسيكون لك كل ما تريدين، فلا فائدة من الجلوس وحدك في هذه الغرفة الصغيرة حتى الموت جوعاً».

وهكذا، ذهب بيك مع الملك، وصار يعامل هناك في القصر كأنه إحدى بنات الملك، فقد قامت الآنسة بيك بخياطة الملابس ودرزها، وكانت تغني وتنشد وتصلي مع الآخرين، وظلت برفقتهم صباحاً ومساءً.

وذات يوم جاء رجل إلى الملك وأخبره أن أخت بيك تعمل في إحدى المزارع المجاورة، وأن الذي يستضيفه في قصره هو في الواقع بيك نفسه. ولكن بيك سمع كل ما قاله الرجل للملك، فما كان منه إلا أن فر هارباً من القصر إلى العالم الفسيح.

غضب الملك غضباً شديداً وأرسل في طلب بيك للحضور لديه، لكنهم لم يعثروا عليه. عندها امتطى الملك جواده وخرج يبحث عن بيك.

وما كاد يسير مسافة قصيرة حتى وصل إلى حقل تمت فلاحته. هناك جلس بيك على صخرة وهو يعزف على الناي.

قال الملك: «أنت تجلس هنا يا بيك؟».

أجاب بيك قائلاً: «أين أجلس إذاً، طبعاً أجلس هنا».

قال الملك: «لقد غششتني وغدرت بي مرة تلو الأخرى، لكنك الآن لابد من أن تأتي معي. سوف أقتلك».

قال بيك: «حسناً، حسناً. إذا كان لابد من أن آتي معك، فلا بد مما ليس منه بد».

وحين وصلا إلى قصر الملك، جهزوا برميلاً ليضعوا بيك في

داخله، وعندما أصبح جاهزاً سحبوه إلى قمة جبل شاهقة. كان عليه أن يبقى هناك لمدة ثلاثة أيام يفكر في أعماله الشريرة التي اقترفها. بعد ذلك سيتمّ رميه من الجبل إلى البحر.

وفي اليوم الثالث، مرَّ رجل غني سأل بيك عن قصته، وعندما سمعها أبدى استعداده لمساعدته في الخروج من ورطته.

جرى صنع رجل وحشوه بالقش ووضعوا معه بعض الحجارة في البرميل. وأعطى الرجل الغني بيك خيولاً وأبقاراً وأغناماً وخنازير بالإضافة إلى المال.

الآن، حضر الملك لدحرجة بيك إلى قعر الجبل وقال له: «أتمنى لك رحلة سعيدة! لقد انتهى أمرك، وانتهت حيلك».

تحطم البرميل إلى أجزاء صغيرة متناثرة وهو يتدحرج في وسط المسافة، ولو كان بيك بداخله لما بقي منه ضلع واحد سليم.

وحين عاد الملك إلى القصر، وجد بيك أمامه جالساً في الباحة يعزف على الناي.

قال الملك: «ماذا! أنت هنا يا بيك؟».

أجاب بيك قائلاً: «نعم، إنني هنا، وأين يمكنني أن أكون؟»، وأضاف: «هنا ربما يوجد مكان لكل هذه الخيول والأغنام والمال الذي أمتلكه».

سأل الملك: «من أين لك كل هذه الثروة، وأنا الذي قمت بدحرجتك من قمة الجبل؟».

قال بيك: «آه، لقد دحرجتني إلى البحر، وحين وصلت إلى القاع وجدت الكثير من الخيل والأغنام والذهب والفضة. لقد كانت الماشية تسير في قطعان، وكانت أكوام الذهب والفضة مكدسة في حجم يماثل حجم المنازل».

سأله الملك: «ماذا تريد في مقابل أن تدحرجني إلى البحر بالطريقة ذاتها؟». قال بيك: «آه، شيئاً قليلاً، أو لا شيء يذكر، فالأمر لا يحتاج منك أو مني إلى أيّ جهد».

وهكذا وضع بيك الملك داخل البرميل ودحرجه من أعلى الجبل إلى البحر، ثم عاد إلى قصر الملك. عند ذاك أقام حفل زفافه على ابنة الملك الأميرة الصغرى، وبعدها حكم البلاد بالعدل مدة طويلة. واحتفظ بعصيه وخبأهما ولم يعد أحد يسمع بحيل بيك وألاعيبه سوى الملك بيك نفسه.

الأميرة التي لايمكن إسكاتها

في قديم الزمان كان هناك ملك له ابنة نكدة جداً، وكانت كلماتها معوجة وملتوية لدرجة أن أحداً لا يستطيع إسكاتها. لذا نشر الملك خبراً يقول إن من يتمكن من إلزام الأميرة بالصمت فسوف يزوجه إياها، ويعطيه نصف مملكته. ويمكن القول إن هناك الكثيرين من حاولوا تجريب حظهم، فليس في كل يومٍ يمكن للمرء أن يتزوج أميرة ويحظى بنصف مملكة. ولم تعرف بوابة قصر الملك الهدوء من كثرة الحشود التي توافدت من شرق البلاد وغربها راجلين وركبانا. ولكن لم يتمكّن أحد من جعل الأميرة تلتزم الصمت.

أخيراً أعلن الملك أن أولئك الذين يحاولون ويفشلون سوف تكوى آذانهم بقضيب الحديد الساخن الذي توسم به الماشية، لأنه، أي الملك، لن يحتمل كل هذا الإزعاج والقلق مقابل لا شيء.

حسناً، هناك ثلاثة إخوة سمعوا عن الأميرة، وبما أن أوضاعهم كانت سيئة في بلادهم، فقد فكروا بأن من الأفضل لهم الذهاب لتجريب حظهم ومعرفة إن كانوا يستطيعون الظفر بالأميرة وبنصف مملكة أبيها، كانوا إخوة أصدقاء تجمعهم صحبة جيدة، فانطلقوا سوياً. وحين ساروا قليلاً في الطريق، التقط بوتس شيئاً ما.

وصرخ عالياً: «لقد وجدت شيئاً!».

سأله أخواه: «ماذا وجدت؟».

قال بوتس: «لقد وجدت غراباً ميتاً».

قال أخواه اللذان كانا يظنان أنهما يعرفان كل شيء: «أف، ارمه بعيداً، ماذا ستفعل به؟».

قال بوتس: «ليس لدي الكثير لأحمله، ربما أستطيع حمله أيضاً».

وبعد أن ساروا مسافة قصيرةً أخرى التقط بوتس شيئاً آخر وقال: «لقد وجدت شيئاً».

قال أخواه: «ماذا وجدت هذه المرة؟».

قال بوتس: «لقد وجدت غصن شجرة صفصاف».

قال أخواه: «يا أخانا العزيز، ماذا ستفعل به؟ ارمه بعيداً».

قال بوتس: «آه، ليس لدي حمل كبير، وسوف أحمله معي».

وهكذا، بعد أن ساروا قليلاً، التقط بوتس شيئاً ما مرة أخرى، وصاح قائلاً: «يا شباب، لقد وجدت شيئاً».

سأله أخواه: «حسناً، حسناً، ماذا وجدت هذه المرة؟».

أجاب قائلاً: «قطعة من إناء مكسور».

قالا له: «وما فائدة تلك القطعة؟ تخلص منها».

قال بوتس: «ما زال حملي خفيفاً، وربما أحملها معي».

وعندما ساروا مسافة أخرى، انحنى بوتس إلى الأسفل والتقط شيئاً آخر، وقال: «لقد وجدت شيئاً يا شباب».

قالا: «ما هذا الشيء هذه المرة».

قال بوتس: «وجدت قرني ماعز».

قال أخواه: «أوه، تخلص منهما، ماذا ستفعل بهما».

قال بوتس: «ليس لدي حمل كبير، وربما آخذهما معي».

وبعد مدة قصيرة، وجد بوتس شيئاً ما مرة أخرى، وصاح قائلاً لأخويه: «يا شباب! لقد وجدت شيئاً».

قال أخواه: «يا أخانا العزيز، ما أروع الأشياء التي تعثر عليها، ماذا لديك الآن؟».

قال بوتس: «لقد وجدت إسفيناً».

قالا: «ارمه، ماذا ستفعل به؟».

قال: «ليس لدي الكثير لأحمله، ربما آخذه معي».

وبينما يسيرون فوق الحقول بالقرب من قصر الملك، انحنى بوتس والتقط شيئاً عن الأرض.

صاح قائلاً: «أوه، يا شباب، يا شباب، انظروا ماذا وجدت!».

قال أخواه: «لو أنك وجدت قليلاً من العقل والمنطق لكان خيراً لك. حسناً، أرنا ما هو».

قال بوتس: «لقد وجدت رباط حذاء مهترئ».

قال أخواه: « بش بش، حسناً، أهذا شيء تلتقطه! ارمه بعيداً! ماذا ستفعل به؟».

قال بوتس: «أوه، ليس لدي الكثير لأحمله، ربما أحمله معي إن كنت سأفوز بالأميرة ونصف المملكة».

قال أخواه ساخرين: «نعم، من المحتمل أن تقوم بذلك أنت!».

وصلوا بعدئذ إلى قصر الملك، حيث دخل الأخ الأكبر أولاً.

قال: «طاب يومك».

قالت الأميرة وهي تتلوّى وتتقلب: «طاب يومك».

قال: «إن الجو حار جداً هنا».

قالت الأميرة: «الجو أشد حرارة هناك في الموقد». وكان هناك قضيب الحديد الساخن منتظراً. وعندما رآه نسي كل كلمة أراد أن يقولها، وهكذا انتهى أمره ونال عقابه.

الآن، جاء دور الأخ الأوسط.

قال: «طاب يومك».

قالت الأميرة وهي تتقلب وتتلوى: «طاب يومك».

قال: «إن الجو حار جداً هنا».

قالت الأميرة: «لكن الجو أشد حرارة في الفرن». وعندما نظر إلى قضيب الحديد الساخن لم يستطع التلفظ بكلمة. وهكذا وسموا له أذنيه وأرسلوه إلى البيت.

بعد ذلك جاء دور بوتس.

قال: «طاب يومك».

قالت الأميرة وهي تتلوى وتتقلب: «ويومك أيضاً».

قال بوتس: «إن الجو هنا لطيف ودافئ».

قالت: «لكن الفرن أشد حراً». ولم تكن أكثر لطفاً مع الأخ الثالث.

تساءل بوتس: «أمرٌ جيد، ربما أستطيع شيَّ غرابي هناك. على ما يبدو؟».

قالت الأميرة: «أخشى أنه سينفجر».

قال الشاب: «ليس هناك من خطر، سوف أثني غصن الصفصاف حوله».

قالت: «إنه مرتخٍ».

«سوف أدق الإسفين فيه». قال الشاب وهو يخرج الإسفين.

قالت الأميرة: «سوف يسقط الدهن من الغراب».

«ساضع هذا تحته». قال الفتى وهو يخرج قطعة الصحن المكسورة.

قالت له الأميرة: «إنك مراوغ وكلماتك فيها لف ودوران، هكذا أنت».

«أنا لست معوجاً، ولكن هذا معوجٌ». قال الشاب وهو يريها قرن الماعز.

صاحت الأميرة: «حسناً، لم أرَ مثيلاً لذلك».

«هناك ما يماثله». قال بوتس وهو يخرج القرن الثاني.

قالت الأميرة: «الآن، هل تظن أنك ستبلي رباط روحي، أليس كذلك؟».

«لا، إنني لن أبلي رباط روحك، لأن لدي رباطاً بالياً على أي حال». قال الشاب وهو يسحب رباط الحذاء البالي.

عندها لم يعد لدى الأميرة كلمة تقولها.

قال بوتس: «انت الآن من نصيبي».

وهكذا كان.

اثنتا عشرة بطة برية

في سالف الزمان كانت هناك ملكة، لديها اثنا عشر ابناً، ولم يكن لها ابنة.

وفي أحد الأيام كانت تقود عربة تجرها الخيول في الغابة، فقابلت أجمل فتاة يشاهدها الإنسان في حياته. أوقفت الملكة خيولها، ورفعت الطفلة بين ذراعيها وقبلتها على خديها، وهي تفكر في تلك الأثناء قائلة: «أتمنى أن تكون لي ابنة، آه، كم انتظرت طويلاً وتمنيت أن تكون لي واحدة».

وفي تلك اللحظة بالضبط جاءت إليها ساحرة عجوز من الجنيات الأقزام، لكن الملكة لم تعرف أنها ساحرة، لأنها بدت طيبة ولطيفة.

قالت الساحرة للملكة: «ستكون لك ابنة، هي الأجمل في اثنتي عشرة مملكة، إذا أعطيتني كل من سوف يقابلك على الجسر».

وكان لدى الملكة كلب صغيرٌ أبيض كالثلج، وهي مولعة به جداً، كان يركض دائماً لملاقاتها عندما تكون مسافرة. واعتقدت الملكة أن الكلب هو ما تريده السيدة العجوز، ولذلك قالت: «نعم، تستطيعين الحصول على كل من سيقابلني على الجسر». وعند ذاك أسرعت إلى بيتها بقدر ما تستطيع.

ولكن من قابلها على الجسر لم يكن إلا أبناؤها الاثنا عشر. وقبل أن تحذرهم من الاقتراب من الجسر، سلطت الساحرة الشريرة سحرها عليهم وحولتهم إلى اثنتي عشرة بطة رفرفت بأجنحتها وطارت بعيداً. ذهبت بعيداً وظلت بعيداً.

وأنجبت الملكة ابنة كانت أجمل طفلة وقعت عليها عين بشر. وترعرعت الأميرة وكانت طويلة وحسناء، بيد أنها أيضاً كانت هادئة وحزينة، ولم يستطع أحد أن يفهم ما الذي يؤلمها. ولعلك خمنّت أيها القارئ العزيز أن الملكة كانت في معظم الأحيان حزينة أيضاً، لأن مخاوف كثيرة كانت تنتابها حين تفكر في أبنائها. وفي أحد الأيام قالت لابنتها: «لماذا أنت حزينة جداً يا ابنتي العزيزة؟ هل هناك شيء ترغبين فيه؟ وإذا كان هناك ما تريدينه فما عليك إلا أن تسميه وسوف تحصلين عليه».

قالت الابنة: «أوه، يبدو أن الحياة مملة وموحشة هنا».
وأضافت: «كل واحد غيري لديه إخوة وأخوات أما أنا فوحيدة وليس لي أحد، وهذا هو سبب حزني».

قالت الملكة: «كان لك إخوة يا ابنتي، فقد كان لي اثنا عشر ابناً قوياً وشجاعاً لكنني فقدتهم جميعاً عندما أنجبتك». ومن ثم أخبرتها بالقصة كاملة.

وعندما سمعت الأميرة القصة، لم يهدأ لها بال لأنها اعتقدت أن تلك غلطتها رغم كل ما تقوله الملكة أو تفعله، ومع أنها بكت وابتهلت أن يكون إخوتها سالمين، إلا أنها انطلقت للبحث عن إخوتها. وواصلت سيرها في العالم الفسيح، وربما لم يخطر ببالك أيها القارئ أن قدميها الصغيرين يمكن أن يحملاها كل هذه المسافات البعيدة.

وأخيراً، وهي تسير ذات يوم في غابة ضخمة، شعرت بالتعب ثم جلست على كومة من الطحالب واستغرقت في النوم. وحينئذ حلمت أنها توغلت عميقاً في أعماق الغابة حتى وصلت إلى كوخ خشبي صغير، وهناك وجدت إخوتها. وعندما استيقظت، رأت أمامها طريقاً يمر من بين الطحالب الخضراء متجهاً إلى عمق الغابة. وهكذا سلكت

الأميرة الطريق ووصلت بعد مدة طويلة إلى بيت خشبي صغير يشبه تماماً ذلك الذي رأته في حلمها.

وعندما دخلت لم تجد أحداً في البيت، وإنما كان هناك اثنا عشر سريراً واثنا عشر كرسياً واثنتا عشرة ملعقة، وباختصار كانت هناك دزينة من كل شيء. وحين رأت ذلك، شعرت بفرح شديد لم تعهده منذ سنين طويلة، لأنها توقعت في الحال أن إخوتها يعيشون هناك وأن الأسرّة والمقاعد والملاعق تخصهم. ولذلك بدأت بإضرام النار، وكنس الغرفة، وترتيب الأسرّة، وإعداد طعام العشاء، وترتيب البيت قدر استطاعتها.

وعندما أنجزت كل الأعمال، وبات العشاء جاهزاً على الطاولة، فجأة سمعت شيئاً يخفق ويدور في الجو، فاختبأت خلف الباب. عندها جاءت الاثنتا عشرة بطة مندفعة إلى الداخل. ولم تكد البطات تتخطى عتبة الباب حتى تحولت كل منها إلى أمير.

قال الأمراء: «أوه، كم هو رائع ودافئ هذا المكان، بارك الله في من أوقد النار وأعد لنا هذا العشاء الرائع».

قال الأمير الأصغر: «ترى من يكون هذا؟» ثم قاموا جميعاً

بتفتيش المكان تفتيشاً دقيقاً إلى أن عثروا على الفتاة خلف الباب. ألقت الفتاة بذراعيها حول أعناقهم وقالت: «أنا أختكم، لقد خرجت باحثة عنكم طيلة هذه السنوات الثلاث، وإنني على استعداد للتضحية بحياتي في سبيل تحريركم».

عند ذاك نظر الإخوة إلى بعضهم بعضاً نظرة حزن وأسى وهزّوا رؤوسهم.

قال الأخ الأكبر: «وهو ينظر إلى الأميرة الحسناء، لا، إن الأمر في غاية الصعوبة، إن الأمر في غاية الصعوبة». ثم تنهدوا وهزّوا رؤوسهم ثانية.

قالت الأميرة: «أوه، أخبروني، فقط أخبروني كيف يمكن عمل ذلك، وسوف أفعله مهما كلف الأمر». وبعد توسلها إليهم ورجائها لهم أن يخبروها، قال أخوها الأصغر: «عليك أن تحضري نبات شوك الجمل وتمشطيه وتغزليه وتحيكيه، وبعد أن تفعلي ذلك، عليك أن تصنعي اثني عشر قميصاً، واحداً لكل منا. وعليك أثناء القيام بذلك عدم الكلام أو الضحك أو البكاء. فإذا استطعت تنفيذ ذلك فسوف نصبح أحراراً».

تساءلت أختهم قائلة: «من أين لي أن أحصل على شوك

الجمل الذي يكفي لصنع هذا العدد الكبير من القمصان؟».

قال الأخ الأكبر: «حسناً، هذا الأمر هو الأصعب في كل ذلك. عليك أن تذهبي إلى مستنقعات أرض الساحرات في منتصف الليل، وجمع شوك الجمل من هناك، وعليك أن تذهبي وحدك ...وحدك فقط». ثم اغرورقت عيناه بالدموع.

فابتسمت الأخت وأومأت برأسها دلالة على الموافقة. وحين انتصف الليل وصار القمر بدراً في السماء ودَّعت إخوتها وذهبت إلى المستنقعات الفسيحة الضخمة، حيث كانت تعيش الساحرات. كان هناك محصول ضخم من شوك الجمل يتمايل مع هبات النسيم، بينما كان الزغب يطفو ويتلألأ كخيوط العنكبوت في الهواء تحت ضوء القمر. شرعت الأميرة في اقتلاعها وجمعها بأقصى سرعة ممكنة. بيد أنها رأت أذرعاً طويلة نحيلة تمتد نحوها، ورأت بين الأشواك حشداً من وجوه شريرة، جميعها تنظر إليها. وتوقف قلبها من شدة الخوف وشعرت أنها تجمدت، لكنها لم تنبس بكلمة واحدة، بل قامت فقط باقتلاع الأشواك وجمعها حتى امتلأت سلتها، وعندما عادت إلى البيت مع بزوغ النهار، بدأت العمل بالتمشيط وغزل الخيوط من الزغب.

وهكذا استمرت الأميرة وقتاً طويلاً جداً تجمع الزغب من

أرض مستنقعات الساحرات وتمشطه وتغزله خيوطاً، إضافة إلى تدبير شؤون منزل إخوتها الأمراء، من طبخ وترتيب للأسرّة. ولكنها أبداً لم تتكلم أو تضحك أو تبكِ.

وفي المساء عاد الإخوة إلى البيت يرفرفون بأجنحتهم، ويحومون مثل البط البري، ولكنهم في الليل يصبحون أمراء كما كانوا، وفي النهار يطيرون ثانية ويصبحون بطاً برياً طوال اليوم.

وفي إحدى الليالي حين كانت خارجة لجمع شوك الجمل حدث أن خرج للصيد الملك الشاب الذي يحكم تلك البلاد، وضل الطريق بعد أن انفصل عن رفاقه، وبينما هو راكب على حصانه عبر أرض مستنقعات الساحرات، شاهدها. توقف الملك وتساءل من تكون تلك الفتاة الجميلة التي تسير وحيدة في أرض مستنقعات الساحرات، وتقوم بجمع شوك الجمل في الليل البهيم. وسألها عن اسمها لكنه لم يحصل على جواب، فازداد دهشة وأعجب بها كثيراً لدرجة أنه أخيراً قرر أن يأخذها إلى قلعته ويتزوجها. وهكذا أخذها ووضعها فوق حصانه، ولكن الأميرة فركت يديها وأعطت الملك إيماءات وإشارات إلى الأكياس التي جمعت فيها المحصول، وعندما رأى الملك أنها

تريد الاحتفاظ بها، حملها أيضاً على ظهر الحصان.

وحين تم ذلك، بدأت الأميرة تهدأ شيئاً فشيئاً، لأن الملك كان حكيماً ووسيماً، كما أنه عاملها بلطف وعطف يماثل عطف الأم. وحين وصل إلى القصر قابلتهما امرأة عجوز وكانت تلك المرأة وصية على الملك، ولذلك تضايقت عندما وقعت عيناها على الأميرة وغارت منها بشدة بسبب جمالها، ولذلك قالت للملك: «ألا ترى بأن هذا الشيء الذي جئت به والذي تريده زوجة، ما هو إلا ساحرة، فلماذا لا تستطيع الكلام أو الضحك أو البكاء؟».

لكن الملك لم يأبه قيد أنملة لكلامها، بل أقام حفل الزفاف وتزوج الأميرة، وعاش في سعادة ومجد عظيمين. ولم تنسَ الأميرة استكمال نسج القمصان، وكذلك التزمت بعدم الكلام أو الضحك أو البكاء. وعلى أي حال، فقد وجدت الأميرة عند غزل القمصان وحياكتها، أنها بحاجة إلى المزيد من القماش وأن عليها مرة أخرى الذهاب إلى أرض مستنقعات الساحرات. ولذلك فإن الأميرة حين نام كل من في القصر في تلك الليلة، تسللت بهدوء وذهبت مسرعة لجمع شوك الجمل، بيد أن العجوز الوصية على الملك رأتها؛ وكانت تعلم جيداً المكان الذي كانت الملكة

الشابة متوجهة إليه. ولابد من أن تعلم يا عزيزي القارئ أن هذه العجوز هي نفسها تلك الساحرة الشريرة التي حولت الأمراء الاثني عشر إلى بطات برية. وتوجهت مسرعةً إلى حجرة الملك وأيقظته قائلة: «تعال معي الآن، وسوف أثبت لك أن ملكتك الجميلة ساحرة تنضم إلى المجموعة الشريرة في أرض مستنقعات الساحرات عند منتصف الليل». ولم يستمع إليها الملك في بادئ الأمر، بيد أنه حين رأى سرير الملكة فارغاً، نهض وذهب مع العجوز.

وهناك عند حافة أرض مستنقعات الساحرات، توقف الملك والمرأة العجوز وشاهدا في ضوء القمر الصافي الملكة الشابة بين الجنيات العجائز الشنيعات. وأدار الملك وجهه بحزن ولم ينبس بكلمة واحدة، لأنه كان يحب مليكته الهادئة حباً شديداً.

وبدأت العجوز الشريرة بالهمس ونقل الأخبار حول زيارة الملكة الليلية إلى أرض مستنقعات الساحرات. عندئذ جاء مستشارو الملك وقالوا له: «لن نقبل أن تكون عندنا ملكة ساحرة، والناس يطلبون منك أن تحرقها حية».

عندئذ حزن الملك حزناً شديداً لا حدود له، لأنه أدرك أنه لا يمكنه إنقاذها، وكان ملزماً أن يعطي الأمر بأن تحرق حية فوق

كومة من الحطب. وعندما تأججت النيران في كومة الحطب وكانوا على وشك إلقائها في النار، أشارت لهم ان يأخذوا اثني عشر لوحاً ويضعوها حول كومة الحطب.

وعلى تلك الألـواح وضعت قمصان إخوتها، وكانت القمصان مكتملة وجاهزة باستثناء قميص أخيها الأصغر، الذي كان ينقصه الكم الأيسر، إذ لم يكن لديها الوقت الكافي لاستكماله. وما كادت تنتهي من ذلك، حتى سمعوا رفرفة الأجنحة والدوران السريع في الهواء، ثم هبطت اثنتا عشرة بطة برية من سماء الغابة، وقامت كل بطة باختطاف قميصها بسرعة وحملته بمنقارها وطارت بعيداً.

وقالت المرأة العجوز للملك: «ألا ترى الآن أنني كنت محقة عندما قلت لك أنها ساحرة. أسرع وأحرقها قبل أن تخمد النار».

قال الملك: «أوه، لدينا ما يكفي من الحطب، وسوف أتريث قليلاً لأرى نهاية هذا الأمر».

وما إن قال ذلك حتى جاء اثنا عشر أميراً على صهوات خيولهم، وكانوا فتياناً كأجمل ما يمكن للمرء أن يراه، باستثناء أن الأمير الأصغر سناً كان له جناح بطة بدلاً من ذراعه اليسرى.

سأل الأمراء: «ماذا يدور هناك؟».

قال الملك: «زوجتي الملكة سوف تحرق لأنها ساحرة، هكذا يقول الناس وأنا لا أستطيع إنقاذها».

قال الأمراء: «تكلمَي الآن يا أختاه، لقد حررتنا وأنقذتنا، والآن أنقذي نفسك».

عندئذ تكلمت الملكة الشابة وسردت القصة كاملة، وأخذ الملك والحضور يستمعون بدهشة وسرور. المرأة العجوز الشريرة وحدها هي التي وقفت ترتجف من الخوف، وحين أكملت الملكة قصتها، أخذ الناس الساحرة العجوز وقيدوها ثم أحرقوها على كومة الحطب.

اصطحب الملك زوجته والأمراء الاثني عشر ورافقهم إلى منزل أبيهم وأمهم، وسرد كل ما حدث لهم، وبعد ذلك عمت الفرحة والسعادة أرجاء المملكة، لأن الساحرة الشريرة ماتت، ولأن الأمراء جرى إنقاذهم وتحريرهم، ولأن الأميرة المحبوبة هي التي أنقذت إخوتها الاثني عشر.

غدبراند على سفح التل

كان ياما كان في قديم الزمان رجل يدعى غدبراند وكانت له مزرعة تقع بعيداً جداً على سفح التلة، ولهذا سموه «غدبراند»، أي على سفح التلة.

والآن، لابد من أن تعلم يا عزيزي القارئ أن هذا الرجل وزوجته عاشا سعيدين معاً، وكان كل منهما يتفهم الآخر بصورة جيدة لدرجة أن الزوجة كانت تعتبر كل ما يقوم به زوجها عملاً جيداً ومتقناً لا مثيل له في العالم، وكانت على الدوام تشعر بالسرور والرضا عن أي شيء يعمله زوجها بهمة ونشاط. وكانت المزرعة ملكاً لهما، وكان لديهما مال في أسفل الصندوق، وبقرتان مربوطتان إلى المعلف في زريبة المزرعة.

وذات يوم قالت زوجة غدبراند له: «أتعرف ياعزيزي إنني أفكر بأنه يتوجب أن نأخذ إحدى بقرتينا إلى البلدة ونبيعها، وعندئذ يكون لدينا بعض المال الذي نستطيع أن نتصرف به كما يفعل ميسورو الحال. وبالنسبة للمال الذي ندخره هناك

في الصندوق فلن نفرط فيه، وانا متأكدة بأن حاجتنا لا تتجاوز بقرة واحدة، وفوق ذلك فإننا سنكسب القليل بطريقة أخرى، لأنني عندها لن أعتني إلا ببقرة واحدة بدلاً من إطعام بقرتين وسقايتهما وإزالة مخلفاتهما».

وبالطبع، رأى غدبراند أن ما نطقت به زوجته هو عين الصواب والمنطق، ولذلك انطلق في الحال ومعه البقرة متجهاً إلى البلدة لبيعها. لكنه عندما وصل إلى البلدة، لم يجد هناك من يشتري بقرته.

قال غدبراند لنفسه: «حسناً، حسناً، لا بأس، فأنا أستطيع في أسوأ الأحوال أن أعود إلى البيت ببقرتي، وهناك الزريبة والمربط، كما أن طريق العودة ليس أبعد من طريق الذهاب».

وهكذا بدأ يتدرج في مشيته عائداً إلى بيته ومعه البقرة.

وبعد أن سار مسافة قصيرة في طريقه، صادفه رجل لديه حصان يريد أن بيعه. فكر غدبراند أن امتلاك حصان أفضل له من امتلاك بقرة، وهكذا بادل بقرته بحصان الرجل. وبعد مسافة قصيرة التقى رجلاً يسوق خنزيراً سميناً أمامه، وفكر غدبراند أن امتلاك خنزير سمين أفضل له من امتلاك حصان، وهكذا بادل

الحصان بالخنزير. وبعد أن قطع مسافة أخرى، صادف رجلاً يجرّ عنزة، وفكر غدبراند أن امتلاك عنزة أفضل له من امتلاك خنزير، ولذلك بادل خنزيره بعنزة الرجل. وبعد مسافة أخرى التقى رجلاً لديه خروف، فبادل العنزة بالخروف لأنه اعتقد أن امتلاك خروف أفضل له من امتلاك عنزة. وبعد فترة التقى رجلاً معه إوزة، فبادل الخروف بالإوزة. وبعد أن سار مسافة طويلة جداً، التقى رجلاً لديه ديك، فبادل الإوزة بالديك ظناً منه أن هذا هو التصرف الحكيم. وقال لنفسه إن امتلاك ديك أفضل له من امتلاك إوزة.

وواصل بعد ذلك طريقه حتى انقضى معظم النهار، وبدأ يشعر بجوع شديد، ولذلك باع الديك مقابل الحصول على شلنٍ، واشترى طعاماً بالنقود. واعتقد غدبراند «أن إنقاذ حياة المرء أفضل من امتلاك ديك».

وتابع بعد ذلك طريقه إلى البيت حتى وصل إلى منزل أقرب جارٍ له، وحين دخل سأله الجار: «كيف سارت أمورك في البلدة؟».

قال غدبراند «بين بين، فلا أستطيع أن أطري حظي، ولا أستطيع أن أندب حظي كذلك». ثم سرد القصة من أولها إلى آخرها.

قال صديقه: «آه، سوف توبخك زوجتك توبيخاً شديداً على ما فعلت، عندما تعود إلى المنزل، كان الله في عونك، ولا أتمنى أن أكون مكانك في هذا الموقف مهما كان الثمن».

قال غدبراند: «حسناً، أعتقد أن الأمور ربما كانت ستصبح أسوأ من ذلك بكثير، وسواءً أكان ما قمت به صواباً أم خطأً، فإن لدي زوجة طيبة لم أسمع منها كلمة اعتراض على أي شيءٍ أقوم به».

أجاب الجار: «أوه، إنني أسمع ما تقول، ولكنني لا أصدق ذلك البتة».

قال غدبراند: «هكذا إذاً تشكك في كلامي».

قال صديقه: «نعم، أشكك، ولدي مائة كراون في أسفل الصندوق في بيتي، سأعطيها لك إن استطعت أن تثبت ما تقول».

وهكذا مكث غدبراند في بيت جاره حتى المساء، ثم ذهبا سوياً إلى بيته، وكان على الرجل أن يقف في الخارج ويستمع لما يدور بين الرجل وزوجته.

قال غدبراند: «مساء الخير».

ردت الزوجة الطيبة: «مساء الخير، أهذا أنت، إنني الآن سعيدة بعودتك».

وبعد ذلك سألته الزوجة كيف سارت أموره في البلدة.

أجاب غدبراند: «بين بين، ليس هناك ما يدعو إلى الفخر. فعندما وصلت إلى البلدة لم يكن هناك من يشتري البقرة، ولذلك لابد أن تعلمي أنني بادلتها بحصان».

قالت الزوجة: «مقابل حصان! حسناً، خيراً ما فعلت، وشكراً لك من كل قلبي. فمن صالحنا امتلاك حصان ربما نمتطيه إلى الكنيسة، كما يفعل الآخرون، وإذا ما اخترنا أن نمتلك حصاناً، فأعتقد أن من حقنا الحصول على واحد». والتفتت الزوجة إلى صغيرها وقالت: «امض يا عزيزي وخذ الحصان إلى الحظيرة».

قال غدبراند: «آه، لكن الحصان ليس معي على أي حال، لأنني عندما سرت قليلاً في طريقي، بادلته بخنزير».

قالت الزوجة: «ألا ترى الآن أنك فعلت ما كنت سأفعله أنا لو كنت مكانك، ألف شكر لك! فأنا الآن أستطيع الحصول على قطعة من لحم الخنزير، وأقدمها للناس حين يأتون لزيارتي.

ما حاجتنا للحصان؟ سيقول الناس أننا متكبرون لدرجة أننا لا نستطيع المشي إلى الكنيسة. اخرج يا صغيري وضع الخنزير في الزريبة».

قال غدبراند: «لكن الخنزير ليس معي أيضاً، لأنني عندما سرت مسافة أبعد قليلاً، بادلته بعنزة».

صاحت الزوجة قائلة: «يا للدهشة، إنك تدبر الأمور بأفضل ما يمكن. الآن راجعت نفسي، ماذا سأفعل بخنزير، سوف يشير الناس لنا بإصبع الاتهام قائلين إنهم يأكلون كل ما لديهم. كلا، إن لديَّ الآن عنزة وسوف أحصل على الحليب والجبن وأحتفظ بالعنزة أيضاً. اركض يا صغيري وخذ العنزة إلى مكانها».

قال غدبراند: «لا تذهب، فالعنزة ليست معي أيضاً، لأنني بادلتها في الطريق بخروف رائع».

صاحت زوجته: «لا تقل ذلك، لماذا تفعل كل شيء لإرضائي كأنني كنت معك. ماذا سنفعل بعنزة؟ ولو كانت لديّ، فسوف أقضي نصف وقتي في صعود التلال لإنزالها. لا، لو أن لديّ خروفاً، فسوف أحصل على الصوف والكسوة، ولحم طازج في البيت. اركض يا صغيري وخذ الخروف إلى مكانه».

قال غدبراند: «ولكن الخروف لم يعد لديَّ، كما حصل مع البقيه، إذ أنني بعد ان قطعت مسافة أخرى بادلته في الطريق بإوزة».

صاحت الزوجة: «أشكرك من صميم قلبي. ما حاجتي بالخروف أصلاً، فأنا لا أملك نولاً للغزل ولا مسرحة لتمشيط الصوف، وليس عليَّ أن أشغل نفسي بقص وتفصيل الصوف وحياكة الملابس. فباستطاعتنا شراء الملابس كما نفعل ذلك دائماً. والآن، سوف أحصل على إوزة محمّصة كنت أشتهيها منذ زمن، وكذلك سوف أحشو وسادتي الصغيرة بريشها. أركض يا صغيري وخذ الإوزة إلى مكانها».

قال غدبراند: «حسناً، فالإوزة ليست معي أيضاً، لأنني عندما قطعت مسافة أخرى استبدلتها بديك».

صاحت الزوجة: «يا للدهشة، كيف تفكر في كل شيء؟ ذلك ما كنت سأفعله لو كنت مكانك. ديك! فكّر في الأمر، إنه أفضل من ساعة منبه تدق في الثامنة صباحاً، لأن الديك سيصيح كل يوم في الساعة الرابعة، وهكذا، نصحو باكراً ونستعيد نشاطنا في وقت مناسب. ماذا سنفعل بإوزة؟ إنني لا أعرف كيف أطهوها، أما بالنسبة لوسادتي فسوف أحشوها بالقطن.

أركض ياصغيري وخذ الديك إلى مأواه».

قال غدبراند: «ولكن الديك ليس معي، لأنني عندما سرت مسافة أخرى أصابني الجوع، وكنت مجبراً على بيعه بشلن، خوفاً من الموت جوعاً».

صاحت الزوجة: «الحمد لله أنك فعلت ذلك. وكل ما تفعله يصب دائماً في مصلحتي. ماذا سنفعل بالديك، إننا أسياد أنفسنا، ونستطيع أن نبقى في السرير صباحاً قدر ما نشاء. الحمد لله أنك عدت إلي سالماً، إنك أنت الذي يفعل كل شيءٍ على أكمل وجه. ولذلك فإنني لا أريد ديكاً ولا إوزة، ولا خنازير ولا غيرها».

عندها فتح غدبراند الباب وقال للرجل: «حسناً، ماذا تقول فيما سمعت الآن؟ ألم أربح المائة كراون». واضطر جاره إلى الاعتراف له بأنه ربح الرهان.

أميرة التل الزجاجي

في مرة من المرات، كان هناك رجل يملك مرجاً يقع في أعلى التل، وكان في المرج مخزن بناه لتخزين القش والعلف، وعلي أن أخبرك يا عزيزي القارئ؛ أن المخزن لم يكن يحتوي على الكثير من العلف خلال السنة أو السنتين الماضيتين، لأنه عندما كانت تأتي ليلة عيد القديس يوحنا عندما يكون العشب مخضراً وكثيفاً، فإن المرج يكون في صبيحة اليوم التالي قد أُكل عن بكرة أبيه. كما لو أن قطيعاً من الخراف كان هناك يتغذى عليه طوال الليل. وقد حدث هذا الأمر مرة أو مرتين، ولذلك ضاق الرجل ذرعاً في نهاية المطاف بخسارة محصوله من القش والعلف، وقال لأبنائه الثلاثة الذين كان أصغرهم يدعى بوتس، بأنه يتوجب أن يذهب واحد منهم ليبيت في المخزن الواقع في الحقل عندما تأتي ليلة عيد القديس يوحنا، إذ من المؤكد أن العشب سوف يؤكل عن بكرة أبيه في هذه السنة كما أكل في العامين الماضيين، وهكذا فإنه يتوجب على من يذهب منهم أن يكون يقظاً وعلى أهبة الاستعداد، هذا ما قاله لهم والدهم.

وفي الواقع، كان الابن الأكبر مستعداً للذهاب إلى المرج وحراسته، وكان على ثقة بأنه سيعتني بالعشب على الوجه الأكمل. وبحلول المساء ذهب إلى المخزن واضطجع للنوم. وبعد مضي هزيع من الليل سمع قرقعة، ثم دويّ زلزال جعل السقف والجدران تهتز وتئن وتصدر صريراً. عندها قفز الفتى وأطلق ساقيه للريح، ولم يجرؤ أن ينظر حوله حتى بلغ البيت. وقد جرى التهام العشب عن بكرة أبيه مثلما حدث في العامين السابقين.

وعند حلول ليلة عيد القديس يوحنا في السنة التالية، قال الرجل إنه من غير المقبول خسارة كل المحصول الموجود في المرج سنة بعد أخرى بهذه الطريقة. وعليه فقد توجب على أحد أبنائه أن يذهب متثاقلاً لحراسة الحقل بشكل جيد. وفي الواقع كان الابن الثاني مستعداً ليجرب حظه، فانطلق ثم جلس ليحرس المخزن مثلما فعل أخوه من قبل، ولكن ما إن انقضى شطر من الليل حتى حدثت قعقعة، واهتزت الأرض بصورة أسوأ مما حدث في ليلة عيد القديس يوحنا في العام الماضي. وعندما سمع الشاب ذلك، انتابه خوف شديد وانطلق مسرعاً كأنه يشارك في سباق.

وفي العام التالي جاء دور بوتس، وبينما يستعد للذهاب راح أخواه يسخران منه، قائلين: «إنك فعلا الرجل المناسب لحراسة العشب، فعلاً أنت هو ذلك الرجل، أنت لم تفعل شيئاً في حياتك سوى الجلوس في الرماد وتدفئة نفسك بالنار».

ولكن بوتس لم يكترث لثرثرتهم، وحين اقترب المساء، صعد التلة متجهاً إلى المرج، وهناك دلف إلى المخزن وجلس، وخلال ساعة بدأ المخزن بالأنين والصرير بصوت يرعب سامعه.

قال بوتس لنفسه: «حسناً، إن لم يكن الأمر أكثر سوءاً من ذلك، فإنني أستطيع احتماله».

وبعد ذلك بقليل حدثت قرقعة أخرى ودوي زلزال جعل مخلفات القش في المخزن تتطاير قريباً من أذني الشاب.

قال بوتس لنفسه مرة أخرى: «أوه، إن لم يكن الأمر أسوأ من ذلك، فإنني أقول بجسارة إني أستطيع التحمل والمقاومة».

ولكن حدثت في تلك اللحظة بالضبط، قرقعة تبعتها هزة ثالثة لدرجة اعتقد الفتى معها أن السقف والجدران ستسقط فوق رأسه، بيد أن الهزة مرت بسلام، وساد المكان صمت مطبق.

وفكر بوتس في نفسه: «إنها سوف تحدث ثانية، وسأكون محصوراً». لكنها لم تحدث وظل الوضع ساكناً، وبقي كذلك. ولكنه بعد أن جلس فترة وجيزة، سمع صوتاً كأن حصاناً يقف خارج باب المخزن ويرعى العشب. فاسترق النظر خلسة من خلال الباب ورأى حصاناً يرعى العشب. كان الحصان ضخماً وبديناً ورائعاً لم تقع عينا بوتس على مثيل له من قبل. وكان على العشب بجانب الحصان سرج ولجام ودرعُ فارس كاملةٌ وجميعها كانت من النحاس الساطع الذي يتلألأ منه الضوء.

قال بوتس: «هووو، هووو، أهذا أنت الذي يأكل عشبنا».

ولم يُضع وقتاً، بل قام على الفور واستخرج من صندوق القدح قطعة فولاذ لاستخراج الشرر من الصوان وأشعل الصوفان وقذفه على الحصان. وعند ذلك لم تعد لديه قوة للتحرك من موضعه، وأصبح أليفاً لدرجة ان الفتى يمكنه أن يفعل به ما يحلو له. بعد ذلك امتطى ظهره وساقه إلى مكانٍ لا يعلم به أحد، وهناك آوى الحصان. وحين عاد إلى البيت سخر منه أخواه وسألاه كيف كانت رحلته.

قال أخواه: «أنت لم تجلس في المخزن طويلاً، حتى لو كانت لديك الشجاعة للذهاب لغاية الحقل».

قال بوتس: «حسناً، كل ما أستطيع قوله، هو أنني جلست في المخزن حتى شروق الشمس».

قال أخـواه: «قصة جميلة، لكننا في الحال سنعرف كيف قمت بحراسة المرج». وهكذا انطلقا باتجاه المخزن، وعندما وصلا إلى هناك، وجدا العشب ما زال قائماً على حاله كما كان خلال الليل.

وعند قـدوم ليلة عيد القديس يوحنا في العام التالي، تكررت القصة ذاتها ولم يجرؤ أخواه الأكبر منه سناً على الذهاب إلى الحقل لحراسة المحصول، لكن بوتس كانت لديه الشجاعة للذهاب هناك، وحدث كل شيء كما حصل في العام السابق تماماً.

في البداية حدثت القرقعة والهزة الشديدة، ثم قرقعة وهزة ثانية، وبعدها قرقعة وهزة ثالثة، وكانت الهزات هذه السنة هي الأسوأ، ثم خمد كل شيءٍ وساد صمت مطبق. وسمع الفتى شيئاً ما يحصد العشب خارج باب المخزن، فاسترق النظر من ثقب الباب، فماذا تظن يا عزيزي القارئ أنه رأى؟ لقد رأى حصاناً يقف منتصباً بجانب الحائط وهو يرعى العشب ويمضغه بقوة وعزم. وكان أضخم وأجمل من الحصان الذي جاء في العام

السابق، وكان على ظهره سرج وعلى رأسه لجام، وبجانبه بدلة فارس كاملة ودرع، وتلك جميعها كانت مصنوعة من الفضة، وكانت جميعها رائعة تسر الناظرين.

قال بوتس: «هووو، هووو، هذا هو أنت الذي يأكل محصولنا؟». وقام على الفور واستخرج من صندوق القدح قطعة فولاذ لاستخراج الشرر من الصوان وأشعل الصوفان وقذفه على عرف الحصان. وعندها وقف الحصان ساكناً كالحمل الوديع. بعد ذلك امتطى الفتى هذا الحصان، ووضعه في المخبأ الذي وضع فيه الحصان السابق، ثم عاد أدراجه إلى البيت.

قال أحد أخويه: «أفترض أنك ستخبرنا بأن المحصول في المرج على مايرام هذه السنة أيضاً».

قال بوتس: «نعم، مازال المحصول هناك على حاله». وانطلق الأخوان للتأكد من كلامه ووجدا العشب مازال قائماً بكثافة كما كان الحال في العام السابق، ومع ذلك لم تصدر منهما كلمة إطراء لبوتس على كل ما فعله.

وبحلول ليلة عيد القديس يوحنا للسنة الثالثة لم يتجرأ أخوا بوتس على الجلوس في المخزن وحراسة المرج، لأنهما لم يتجاوزا

بعد خوفهما منذ تلك الليلة الأولى. لكن بوتس امتلك الجرأة وخرج إلى الحقل وحدث ماحدث في المرتين السابقتين. وقعت ثلاث هزات قوية واحدة تلو الأخرى، وكل منها أسوأ من سابقتها، وحين حدثت الهزة الثالثة قذفت الفتى من جدار إلى جدار داخل المخزن، وفجأة ساد المكان صمت شبيه بصمت الأموات. وبعد أن جلس الصبي لحظة سمع شيئاً ما يقضم العشب خارج المخزن، فاسترق النظر من ثقب الباب وشاهد في الخارج حصاناً أكبر وأجمل بكثير من الحصانين اللذين أخذهما من قبل. وكان على ظهره سرج وعلى رأسه لجام وبجانبه بدلة فارس كاملة ودرع، وتلك جميعها كانت مصنوعة من الذهب الذي يومض ويتلألأ بروعة تسر الناظرين.

قال الصبي لنفسه: «هووو، هووو، أهذا أنت الذي جاء هنا ليأكل عشبنا، سوف أضع لذلك حداً». وهكذا أمسك بفولاذ القدح وألقاه فوق عنق الحصان وفي لحظة تسمَّر الحصان في مكانه واستطاع بوتس التحكم به كما يشاء. بعد ذلك امتطاه وأخذه إلى المخبأ الذي وضع فيه الحصانين السابقين، ثم عاد أدراجه إلى البيت. وحينما وصل إلى هناك سخر منه أخواه كما فعلا من قبل، وقالا إنهما شاهداه وهو يحرس العشب جيداً،

لأنه كان يعتني بالعالم أجمع كما لو كان يسير في نومه، وقالا أيضاً أشياء أخرى تنم عن حقدهما على أخيهما. لكن بوتس لم يكترث لقولهما، واكتفى بأن طلب منهما الذهاب ليشاهدا بنفسيهما، وحين ذهبا، رأيا العشب قائماً وكثيفاً كما كان عليه الحال في المرتين السابقتين.

والآن علي أن أخبرك يا عزيزي القارئ، أن ملك البلاد التي كان يعيش فيها بوتس، له ابنة أراد تزويجها فقط للرجل الذي يستطيع صعود التل الزجاجي، فقد كان هناك تل مرتفع جداً، وأملس زلق مثل الجليد، وهذا التل يقع بالقرب من قصر الملك. وكانت ابنة الملك ستجلس على قمة التل، وفي حجرها ثلاث تفاحات ذهبية، ومن يستطيع الصعود والحصول على التفاحات الثلاث الذهبية، يحصل على نصف المملكة وعلى الأميرة زوجة له. وهذا العرض أعلنه الملك على ملصقات وضعت على أبواب الكنائس في مملكته، ونشره في الممالك الأخرى أيضاً. وكانت الأميرة آية في الجمال لدرجة أن كل من وقعت عيناه عليها أحبها. ولا حاجة للقول يا عزيزي القارئ كيف كان الأمراء والفرسان الذين سمعوا بها متلهفين للزواج منها، والحصول على نصف المملكة، وكيف جاؤوا من كل أنحاء الدنيا على خيولهم وهم

يرتدون أفضل ملابسهم، لأن كل واحد منهم كان عازماً على الفوز بالأميرة وحده دون سواه.

وهكذا عندما جاء يوم الاختبار الذي حدده الملك، كان هناك حشد كبير من الأمراء والفرسان أسفل التل الزجاجي، في مشهد يصيب كل من ينظر إليه بالدوار. وكذلك زحف من أهل البلد كل من كان قادراً على المشي باتجاه التلة، يدفعهم الفضول واللهفة لمعرفة ذلك الرجل سعيد الحظ الذي سيفوز بالأميرة. وهكذا انطلق أخوا بوتس مع الناس ولم يصطحباه ، خشية أن يستهزئ الناس بهما حين يُشاهدان مع أخيهما بملابسه المتسخة بالسخام من تنظيف أحذيتهما، ومن غربلة الرماد بالحفرة.

قال بوتس: «لا بأس، الأمر سيّان عندي، استطيع الذهاب بمفردي».

وعندما وصل الأخـوان إلى التل الزجاجي، كان جميع الفرسان والأمـراء منهمكين في امتطاء خيولهم للوصول إلى قمة التل، ولكن من دون جدوى؛ لأن الخيول كلما وضعت قوائمها على التل كانت تنزلق ولم يستطع أي حصان التقدم مسافة ذراع إلى الأعلى. ولا غرابة في ذلك لأن التل كان ناعماً كالزجاج تماماً، وشديد الانحدار كجدار منزل. لكنهم كانوا

جميعاً متلهفين للفوز بالأميرة ونصف المملكة. ولذلك تسلقوا وانزلقوا، وانزلقوا وتسلقوا وتكررت القصة ذاتها في كل مرة. وفي النهاية أصيبت الخيول بالإرهاق الشديد وأصبحت بالكاد قادرة على رفع قوائمها، وهكذا توقف الفرسان عن المحاولة.

وكان الملك على وشك التفكير في الإعلان عن محاولة جديدة في اليوم التالي لمعرفة إن كان لدى المتنافسين حظ أفضل، حين رأى فجأة فارساً يمتطي جواداً شجاعاً لم يرَ أحد مثيلاً له من قبل، وكانت درع الفارس من النحاس، واللجام النحاسي في فم الحصان، كانا يبرقان لدرجة أن أشعة الشمس تتلألأ عليهما. عندها ناداه الحضور جميعاً طالبين منه أن يوفر على نفسه عناء محاولة صعود التل الزجاجي، لأنها بلا جدوى. لكنه لم يعرهم أي اهتمام، ووجه جواده صوب التل، وقطع شوطاً جيداً، يقارب ثلث المسافة إلى الأعلى، ثم أدار حصانه ونزل إلى الأسفل. ودار في خلد الأميرة: «ياله من فارس رائع لم أر مثيلاً له من قبل». وحين رأته على صهوة جواده قالت لنفسها: «آه، كم أتمنى أن يصعد وينزل من الجهة الأخرى».

ولكنها عندما رأته يستدير عائداً، قذفت إحدى التفاحات

الذهبية وراءه فتدحرجت ودخلت في حذائه. وحين وصل إلى أسفل التل انطلق بحصانه في سرعةٍ مذهلة، لدرجة أن أحداً لم يعرف ماذا جرى له. وفي ذلك المساء كان على جميع الفرسان والأمراء المثول أمام الملك، وكان القصد من ذلك أن الفارس الذي قطع أبعد مسافة باتجاه قمة التل ربما يُظهر التفاحة التي رمتها الأميرة، ولكن لم يكن منهم أحد لديه ما يظهره.

وفي اليوم التالي شرع جميع الأمـراء والفرسان في امتطاء خيولهم، ولعلك تتخيل عزيزي القارئ كيف حرصوا على تجديد حدوات خيولهم، ولكن من دون جدوى، ذلك أنهم تسلقوا وانزلقوا، وانزلقوا وتسلقوا تماماً كما فعلوا في اليوم السابق، ولم يستطع أحد منهم الصعود مقدار ذراع إلى أعلى التل. وبعد أن أرهقوا خيولهم حتى لم تعد قادرة على تحريك قائمة واحدة، اضطروا للاستسلام والتوقف عن المحاولة. ولذلك فكر الملك في الإعلان عن محاولة أخيرة في اليوم التالي، لمنحهم فرصة إضافية، ولكن خطر له في الحال أن ينتظر قليلاً، ليرى إن كان الفارس الذي يلبس الدرع النحاسية سيأتي هذا اليوم أيضاً. ولكنهم لم يروا له أثراً، بل رأوا فجأة فارساً يمتطي جواداً أكثر شجاعة وجمالاً من ذلك الذي كان يمتطيه فارس الدرع النحاسية، وكان يلبس درعاً

فضية وعلى الحصان سرج فضي وفي فمه لجام فضي، وكانت جميعها تبرق لدرجة أن أشعة الشمس تتلألأ عليها وتومض من بعيد.

عند ذاك صاح عليه الجميع قائلين أن بإمكانه التوقف، وعدم محاولة صعود التل لأن تعبه سيذهب سدىً وبذلك يوفر على نفسه العناء. ولكن الفارس لم يعرهم اهتماماً، واتجه رأساً إلى التل، وصعد حتى قطع ثلثي المسافة للأعلى، ومن ثم استدار بحصانه عائداً للأسفل. والحقيقة أن الأميرة أحبته أكثر مما أحبت الفارس صاحب الدرع النحاسية. وراحت تتمنى أن يتمكن من الصعود إلى قمة التل، والنزول من الجانب الآخر. ولكنها عندما رأته يستدير عائداً، رمت خلفه التفاحة الثانية فتدحرجت وسقطت في حذائه. وحالما بلغ أسفل التل الزجاجي انطلق بحصانه في سرعةٍ مذهلة لدرجة أن أحداً لم يعرف ماذا جرى له.

وفي المساء كان على جميع الفرسان والأمراء المثول أمام الملك والأميرة، على أمل أن من لديه التفاحة الذهبية ربما يظهرها؛ ودخلوا واحداً بعد الآخر، ولكن لم تكن لدى أيّ منهم تفاحة يظهرها.

وفي اليوم الثالث تكرر ما حدث في اليومين السابقين. ولم يتمكن أحد من التقدم ذراعاً واحداً باتجاه قمة التل؛ وصار

الجميع الآن بانتظار الفارس الذي يلبس الدرع الفضية، لكنهم لم يروه ولم يسمعوا عنه شيئاً. وأخيراً أقبل فارس على صهوة جوادٍ جسورٍ لم ير أحد مثيلاً له، وكان الفارس يلبس درعاً ذهبية على سرج ذهبي وفي فم الحصان لجام ذهبي، وكانت جميعها براقة لدرجة أن أشعة الشمس كانت تتلألأ عليها من بعد ميل. ولم يجد الأمراء والفرسان وقتاً لنصحه عدم تجريب حظه لأن الذهول أصابهم من هيبته، وهكذا صعد التل ووصل إلى قمته بسهولة، لدرجة أن الأميرة لم يكن لديها وقت لتتمنى أن يقطع المسافة كلها. وحالما وصل القمة التقط التفاحة الذهبية الثالثة من حجر الأميرة ثم ادار حصانه نازلاً. وحين وصل للأسفل انطلق بحصانه بأقصى سرعة واختفى عن الأبصار في لمح البصر.

الآن عاد أخوا بوتس إلى البيت مساء، ولك أن تتخيل عزيزي القارئ تلك القصص الطويلة التي سرداها حول التنافس الذي انتهى ذلك اليوم، ومن بينها أيضاً قصة الفارس صاحب الدرع الذهبية.

قال الأخوان: «لقد كان شاباً قوياً وفارساً عظيماً لا مثيل في هذا العالم الفسيح».

وفي اليوم التالي، كان على جميع الفرسان والأمراء المرور أمام الملك والأميرة، ليتقدم من لديه التفاحة الذهبية ويقوم بإظهارها.

وجاؤوا الواحد تلو الآخر، الأمراء أولاً ثم الفرسان، بيد أن أحداً لم يتمكن أن يظهر التفاحة الذهبية.

وقال الملك: «حسناً، لابد من أن أحداً ما يحتفظ بها، لأننا رأينا بأم أعيننا كيف جاء رجل وحملها بعيداً».

ولذلك أمر الملك بأن يحضر كل من في المملكة إلى القصر، لمعرفة من يستطيع إظهار التفاحة. وجاؤوا واحداً تلو الآخر، ولم تكن التفاحة الذهبية مع أي منهم؛ وبعد وقت طويل جاء أخوا بوتس وكانا آخر الواصلين. ولذلك سألهما الملك إن كان هنالك أحد غيرهما في المملكة لم يصل بعد.

قال أخوا بوتس: «أوه، نعم لدينا أخ لكنه لم يأخذ التفاحة الذهبية أبداً. إنه لم يتحرك من الحفرة التي يغربل فيها الرماد في أي من هذه الأيام الثلاثة».

قال الملك: «لا بأس، بإمكانه الحضور إلى القصر كبقية الناس». وهكذا جاء بوتس.

قال الملك: «هل لديك التفاحات الذهبية؟ هيا تكلم».

قال بوتس: «نعم إنها لدي. هذه التفاحة الأولى، وهذه

التفاحة الثانية، وهذه التفاحة الثالثة أيضاً». ثم أخرج التفاحات الذهبية الثلاث من جيبه، وخلع ملابسه الرثة البالية، ووقف أمامهم مرتدياً درعه الذهبية الوهاجة.

قال الملك: «نعم، سوف تحصل على ابنتي ويكون لك نصف مملكتي لأنك تستحق كليهما».

وهكذا استعدوا لحفل الزفاف، وتزوج بوتس الأميرة، وسادت حفل الزفاف مظاهر الفرح والسرور، ويمكنك أن تتخيل عزيزي القارئ أن الجميع كانوا مبتهجين رغم أنهم لم يستطيعوا الصعود إلى التل الزجاجي، وكل ما يمكنني قوله إن أفراحهم لم تنته بعد، وما زالوا فيها إلى الآن.

الرجل الذي اضطر إلى تدبّر شؤون المنزل

في قديم الزمان كان هناك رجل بخيل جداً ومشاكس، وكان يعتبر أن زوجته لا تجيد عمل شيء صحيح في البيت. وهكذا، في مساء يوم من أيام الحصاد عاد إلى البيت وراح يوبخ زوجته ويقسو عليها، وهو يكشر عن أنيابه ويحدث ضجة كبيرة.

قالت زوجته الصالحة: «يا زوجي الغالي لا تكن غاضباً، أنت رجل طيب». وأضافت: «دعنا نتبادل الأدوار. غداً سأذهب مع الحصادين وأحصد، وأنت تعتني بشؤون البيت».

ظن الزوج بأن ذلك سيكون ملائماً، وقال إنه يرغب في ذلك وهو مستعد لتنفيذ الاتفاق. وهكذا تناولت زوجته الطيبة في الصباح الباكر منجلها، وحملته على كتفها، وخرجت إلى الحقل مع الحصادين، وراحت تحصد. أما الرجل فكان عليه الاهتمام بالبيت والقيام بالأعمال المنزلية.

في البداية أراد أن يخض الزبدة، لكنه عندما خض قليلاً شعر

بالعطش، فنزل إلى القبو ومعه صنبور برميل المزر، وهو شراب الشعير. وما كاد يبدأ بتركيب الصنبور على البرميل الخشبي، حتى سمع الخنزير وهو يدخل إلى المطبخ. عندها ركض صاعداً درجات القبو بأسرع ما يمكن، والصنبور في يده، كي يهتم بأمر الخنزير حتى لا يقلب مخضة الزبدة. وعندما وصل ورأى الخنزير قد قلب مخضة الزبدة، ووقف يعبث بالزبدة التي كانت تسيل على الأرض، استشاط الرجل غيظاً ونسي برميل الجعة واندفع إلى الخنزير بكل قوته.

فأمسك به أثناء خروجه من الباب، فركله بقدمه فمات الخنزير في مكانه. وفجأة تذكر أنه يحمل صنبور برميل الجعة في يده، وأنه ترك البرميل مفتوحاً فنزل إلى القبو، ووجد كل قطرة من البرميل قد سالت إلى الخارج.

بعد ذلك ذهب إلى المكان الذي يحفظ فيه اللبن، فوجد منه ما يكفي لملء المخضة ثانية. ومن ثم باشر الخض للحصول على الزبدة التي يجب أن يتناولوها على العشاء. لكنه بعد أن واصل الخض قليلاً، تذكر أن بقرتهم الحلوب لا زالت محتجزة في الزريبة، وليس لديها ما تأكله أو تشربه منذ الصباح، مع أن الشمس باتت مرتفعة عالياً في السماء. ودار بخلد الرجل أن

المرج بعيد جداً كي يأخذ البقرة إليه، ولذا أراد أن يقودها إلى سطح المنزل، ولابد من أن تعلم يا عزيزي القارئ أن السطح كان مغطى بالمحاصيل والأعشاب التي تنمو فوقه. وكان المنزل يقع بالقرب من صخرة شديدة الانحدار، ولهذا فكر أنه لو وضع لوحاً من الخشب باتجاه السقف فإنه يستطيع إيصال البقرة إلى هناك.

ولكنه ظلّ غير قادر على ترك مخضة الزبدة لأن طفلهما الصغير كان يحبو على الأرض، فقال لنفسه: «إذا تركت المخضة فمن المؤكد أن الطفل سوف يقلبها».

وهكذا، حمل المخضة على ظهره وخرج، ثم فكر أن من الأفضل أن يسقي البقرة قبل أن يأخذها لتأكل العشب، فأخذ دلواً لجرّ الماء من البئر. ولكنه حين انحنى على حافة البئر، انسكب اللبن من المخضة على كتفيه ورقبته وسال إلى البئر.

الآن وقد اقترب وقت العشاء ولكنه لم يحصل على الزبدة بعد. لذلك فكر في طبخ العصيدة، فملأ القدر بالماء ووضعها على النار. وعندما فعل ذلك فكر في أن البقرة قد تسقط وتكسر قوائمها أو رقبتها. ولهذا صعد إلى سطح المنزل ليربط البقرة، فجعل أحد طرفي الحبل حول رقبة البقرة، وأنزل الطرف الآخر

من خلال المدخنة وربطه حول خصره. وكان عليه أن يسرع لأن الماء في القدر بدأ يغلي، وعليه أيضاً أن يطحن وجبة الشوفان.

وهكذا راح يطحن، وبينما هو منهمكٌ في الطحن سقطت البقرة من فوق المنزل، وأثناء سقوطها سحبت الرجل إلى أعلى المدخنة ذلك أن الحبل كان مربوطاً على خصره. وهناك علِق الرجل على الفور ولم يستطع الحراك. أما البقرة فقد علقت في منتصف المسافة أسفل الجدار، وهي تتأرجح بين السماء والأرض، لأنها لم تستطع النزول إلى الأسفل أو الصعود إلى الأعلى.

انتظرت الزوجة الطيبة أن يأتي زوجها ويدعوها إلى طعام العشاء، وطال انتظارها من دون أن يناديها أحد. وفي النهاية قررت العودة إلى البيت بعد طول انتظار.

وحين وصلت إلى هناك وشاهدت البقرة في ذلك المكان الشنيع، ركضت وقطعت الحبل بمنجلها. وحين فعلت ذلك وقع زوجها أرضاً من المدخنة. وعندما دخلت الزوجة إلى المطبخ وجدت زوجها واقفاً على رأسه في قدر العصيدة.

فريدي الصغير وكمانه

في مرة من المرات كان هناك مزارع له ابن وحيد، وكان هذا واهن الصحة، لذلك لم يستطع الخروج للعمل في الحقل.

كان اسمه فريدي، ونظراً لأنه بقي ضئيل الحجم، فقد سموه فريدي الصغير. ولم يكن في البيت حتى النزر اليسير من الأكل، ولا شيء على الإطلاق للطبخ، ولذلك خرج والده في البلد باحثاً عن مكان يعمل فيه الصبي راعياً للبقر أو خادماً، لكن أحداً لم يقبل بالصبي الضعيف، حتى جاء إلى الحاكم. وأبدى الحاكم استعداده لتشغيل الصبي لأنه قام بطرد خادمه ولم يكن هناك من يقوم مكانه، لأن الحاكم كان مشهوراً بشدّة بخله.

واعتقد المزارع أن عمل ابنه لدى الحاكم أفضل من عدم العمل، فالصبي سوف يحصل على الطعام والأجر الذي سيحصل عليه هو المأوى، ولم يذكر شيئاً عن أجرة أخرى، أو عن الملابس.

وبعد أن خدم الصبي ثلاث سنوات، أراد أن يترك العمل لدى الحاكم، فأعطاه أجره دفعة واحدة، وكان الأجر فلساً واحداً في العام. قال الحاكم: «ليس هناك أقل من الفلس». وهكذا حصل الولد على ثلاثة فلوس.

وبالنسبة لفريدي الصغير، فقد ظن أن هذا المبلغ ضخم، لأنه لم يمتلك الكثير في حياته. وأكثر ما كان الصبي بحاجة إليه هو الملابس، لأنه كان يرتدي الأسمال. ولم يلبس ملابس جديدة منذ أن عمل لدى الحاكم قبل ثلاث سنوات.

قال الحاكم للصبي: «لقد حصلت على ما اتفقنا عليه، إضافة إلى ثلاثة فلوس كاملة، وليس لك عندي أي شيء آخر، هيا أغرب عن وجهي».

وهكذا ذهب فريدي الصغير إلى المطبخ ووضع قليلاً من الطعام في كيسه، وانطلق في طريقه لشراء ملابس إضافية. كان سعيداً وفرحاً لأنه لم يرَ فلساً واحداً في حياته من قبل، وراح بين الحين والاخر يتحسس جيبه أثناء سيره في الطريق ليتأكد من وجود النقود. وعندما ذهب بعيداً بعيداً وصل إلى قمة جبل. ولم تكن رجلاه قويتين، لذا كان عليه أن يستريح بين الحين والآخر، ثم يعُدّ ويعُدّ كم من الفلوس لديه. ثم وصل إلى سهل واسع تغطيه

الطحالب. جلس هناك، وراح يتأكد من أن نقوده ما زالت بخير. وفجأة ظهر أمامه رجل متسول وكان طويلاً وضخماً لدرجة أن الصبي عندما تفحص بنظره طوله وضخامته، أخذ بالصراخ والزعيق.

قال المتسول: «لا تخف، فلن أوذيك، جئت فقط لأستجدي منك فلساً».

قال الصبي: «يا للعجب! إنني لا أملك سوى ثلاثة فلوس، وكنت ذاهباً بها إلى البلدة لشراء الملابس».

قال المتسول: «إن حالتي أسوأ من حالتك، لأنني لا أملك فلساً واحداً، كما أن ملابسي رثة أكثر من ملابسك».

قال الصبي: «حسناً، سوف إعطيك إياه».

وعندما سار مسافة أخرى، شعر الصبي بالإعياء، فجلس يستريح. وفجأة ظهر أمامه متسول آخر، كان أطول وأبشع من المتسول الأول. وعندما رأى الصبي كم كان المتسول طويلاً وبشعاً راح يصرخ ثانيةً.

قال المتسول: «لا تخف مني، فأنا لن أؤذيك، وقد جئت اطلب منك فلساً».

قال الصبي: «يا للعجب، يا للعجب! لا أملك سوى فلسين، وأنا ذاهب بهما إلى البلدة لشراء الملابس. ولو أنني قابلتك قبل قليل، لكنت...».

قال المتسول: «إن وضعي أسوأ من وضعك ولست أملك فلساً واحداً، والملابس التي أرتديها لا تغطي جسمي».

قال الصبي: «حسناً، سوف أعطيك فلساً». وهكذا واصل الصبي طريقه حتى شعر بالتعب وجلس ليستريح، ولكنه ما كاد يجلس حتى جاء إليه متسول ثالث، كان طويلاً وقبيحاً جداً، ولشدة طوله كان على الصبي النظر عالياً إلى السماء حتى يراه. وعندما رأى كم كان طويلاً وبشعاً ورثّاً، سقط أرضاً وهو يصرخ ويصرخ.

قال المتسول: «الآن أرجو ألا تكون خائفاً مني أيها الصبي، فأنا لن أمسسك بسوء، وما أنا سوى متسولٍ يطلب منك فلساً واحداً».

قال الصبي: «يا للعجب، يا للعجب! لم يعد لدي سوى فلس واحد، وأنا ذاهب به إلى البلدة لأشتري الملابس. لو أنني قابلتك قبل قليل، لكنت...».

قال المتسول: «إنني لا أملك فلساً واحداً وليس عندي ملابس تكفي لأستر بها جسدي الضخم، ولذلك فإن وضعي أسوأ من وضعك بكثير».

قال فريدي الصغير: «نعم، عليّ أن أعطيك الفلس، لابد من ذلك». وهكذا حصل كل متسول على فلس واحد وبقي هو بلا نقود.

قال المتسول: «حسناً، بما أنك على هذا القدر من الطيبة والإحسان لدرجة أنك جُدْتَ بكل ما تملك في هذا العالم، فسوف أحقق لك أمنية عن كل فلس». ولابد من أن تعرف يا عزيزي القارئ أن المتسول كان واحداً في المرات الثلاث، لكنه غير هيئته في كل مرة حتى لا يتعرف عليه الصبي.

قال الصبي: «كنت أتوق دائماً لسماع صوت الكمان ورؤية الناس في غاية السعادة والحبور، حتى لا يعودوا قادرين على منع أنفسهم من الرقص. فإذا كان لي أن أختار أمنية، فإنني أتمنى لنفسي مثل هذا الكمان الذي لابد أن يرقص على أنغامه كل كائن حي».

قال المتسول: «اعتبر أن هذه الأمنية تحققت، لكنها أمنية تبعث على الأسى. عليك أن تتمنى شيئاً أفضل بالفلسين المتبقيين».

قال فريدي الصغير: «كان لديَّ دائماً شوق للصيد والرماية، وإذا جاز لي التمني واختيار ما أريد، فإنني أتمنى أن تكون عندي بندقية أصطاد بها كل ما أصوب نحوه مهما كان بعيداً».

قال المتسول: «وهذه لك، لكنها أمنية محزنة أيضاً. عليك أن تتمنى شيئاً أفضل من ذلك بالفلس المتبقي لك».

قال فريدي الصغير: «كنت أحن دوماً وما زلت إلى مصاحبة أناس يمتازون باللطف والطيبة، وإذا أمكنني نيل ما أتمنى، فإنني أتمنى أن لا يقول لي أحدٌ لا وأن يلبي الناس طلبي من أول مرة».

قال المتسول: «هذه الأمنية لا تبعث على الأسف». ثم هرول بين التلال ولم يره فريدي بعد ذلك.

وهكذا اضطجع الصبي لينام، وفي صبيحة اليوم التالي نزل من الجبل ومعه كمانه وبندقيته. فاتجه أولاً إلى صاحب متجر وطلب منه ملابس. وبعدها توجه إلى مزرعة وطلب حصاناً، ثم توجه إلى مزرعة أخرى وطلب عربة، وطلب معطفاً من الفرو في مزرعة ثالثة. لم يقل له أحد «لا»، حتى أبخل الناس كانوا

مجبرين أن يلبوا طلبه. وأخيراً سار في أرجاء البلد كأحد النبلاء مصطحباً حصانه وعربته. وبعد أن سار قليلاً قابل الحاكم الذي عمل خادماً لديه.

قال فريدي الصغير وهو يوقف حصانه ويرفع قبعته: «طاب يومك يا سيدي».

قال الحاكم: «طاب يومك. ولكن متى سبق وكنت سيدك؟».

قال فريدي الصغير: «أوه، أجل، ألا تذكر أنني خدمتك ثلاث سنين مقابل ثلاثة فلوس».

قال الحاكم: «يا إلهي! لقد أصبحت غنياً بسرعة، بالله عليك كيف أصبحت سيداً محترماً؟».

قال فريدي الصغير: «تلك قصة طويلة».

سأل الحاكم: «هل أنت في غاية السعادة والمرح لدرجة أنك تحمل معك الكمان أينما تذهب».

قال فريدي: «نعم، نعم، لقد كنت دوماً أشتاق لجعل الناس يرقصون، لكن الشيء الأكثر طرافة هو هذه البندقية التي أستطيع بها إصابة أي شيء أصوب بها نحوه مهما كان بعيداً. هل ترى

طائر أبو زريق الذي يحط هناك على شجرة الصنوبر الكبيرة. ماذا تعطيني إذا أصبته من مكاننا هذا».

ردَّ الحاكم ضاحكاً: «حسناً، سوف أعطيك كل ما في جيوبي من نقود، وسوف أذهب وأحضر الطائر عندما يسقط». لأن الحاكم لم يعتقد أن البندقية قد تصل إلى ذلك المدى.

لكن ما إن انطلقت الطلقة من البندقية حتى سقط الطائر في شجرة عليق ضخمة. انطلق الحاكم إلى شجرة العليق والتقط الطائر ورفعه عالياً ليراه الصبي. وحين ذاك بدأ فريدي الصغير على التو بالعزف على الكمان، وراح الحاكم يرقص تلقائياً والأشواك تمزق ثيابه، وواصل الصبي العزف واستمر الحاكم بالرقص والصراخ والتوسل، حتى تمزقت ثيابه إرباً، ولم يبق على ظهره خيط واحد.

قال فريدي الصغير: «أعتقد أنك الآن في حالة رثة كما كانت حالي عندما تركت خدمتك. والآن بإمكانك أن تغرب عن وجهي بعد نيلك نصيبك».

لكن قبل ذلك كان على الحاكم دفع كل النقود التي في جيوبه للصبي.

وهكذا، عندما جاء الصبي إلى البلدة، توجه إلى فندق صغير

وراح يعزف على الكمان، فرقص كل من كان هناك وضحكوا بسعادة. وهكذا عاش الصبي حياة خالية من الهموم لأن الناس كلهم أحبوه، ولم يقل له أحد «لا» إذا طلب شيئاً ما.

وذات مساء، حين كانوا في غمرة مرحهم جاء الحارس، واقتاد الصبي إلى قاعة البلدة، لأن الحاكم قدم شكوى ضده، قال فيها إن الصبي كمن له في الطريق وسلبه وكاد يقضي عليه؛ وبالتالي يجب أن يشنق الآن.

هذا ما سمعه الناس. لكن فريدي لديه حلّ لكل مشكلة، وهو الكمان الذي يحمله. وراح يعزف فأخذ الحارس يرقص، ورقص الجميع وضحكوا حتى انقطعت أنفاسهم.

بعد ذلك أُرسل الجنود ومعهم حارس لأخذه، ولكن حصل معهم ما حصل مع الحارس السابق، فعندما عزف فريدي على الكمان رقصوا جميعاً لمدة طويلة حتى لم يعد بمقدوره تحريك إصبع ليواصل العزف. ولكنهم كانوا منهكين من الرقص قبل أن يشعر فريدي بالإنهاك.

أخيراً ذهبوا إليه ليلاً وأخذوه وهو نائم. والآن طالما أنهم أمسكوه فبإمكانهم إدانته ليشنق فوراً، ولهذا أسرعوا به إلى شجرة المشنقة.

هناك تجمع حشد كبير من الناس لمشاهدة هذه الأعجوبة وكان هناك الحاكم أيضاً. كان سعيداً ليصفي حسابه مع الصبي أخيراً، بشأن النقود والملابس التي خسرها، ويشاهد بأم عينه الصبي وهو يشنق.

وهنا جاء فريدي الصغير يحمل الكمان والبندقية. صعد المشنقة ببطء وعندما وصل القمة جلس وطلب منهم أن لا يحرموه من أمنية، فإذا كان عليه أن يموت فليأذنوا له بشيءٍ واحد.

قال لهم: «إنه يتوق لعزف مقطع من لحنٍ على كمانه قبل أن يشنقوه».

قالوا: «لا، لا، إن من الخطيئة والعار أن نمنعه من ذلك»، لأنه كما تعلم يا عزيزي القارئ لا أحد يستطيع أن يرد له طلباً».

لكن الحاكم توسل إليهم ألا يدعوه يلمس وتراً، لأن ذلك يعني نهايتهم جميعاً. وإذا كانوا سيسمحون للصبي، فإنه يرجوهم أن يقيدوه بالوتد القائم هناك.

ولم يتوان فريدي الصغير في العزف على كمانه، فرقص كل الحاضرين ممن يمشي على رجلين أو ما يمشي على أربع. رئيس الكنيسة والقسيس والمحامي والحاكم والسادة والعامة والكلاب

والخنازير كلها رقصت ونبحت وصرخت على بعضها بعضاً. بعضهم رقص حتى وقع وهو يلهث، وبعضهم رقص حتى سقط مغشياً عليه. ساءت أحوالهم جميعاً، لكن حال الحاكم كانت الأسوأ لأنه كان مربوطاً إلى الوتد ورقص حتى تمزقت ثيابه. وكان ما يبعث على الحزن والأسى ،النظر إليه وإلى ظهره المصابة بالقروح. ولم يفكر أحد في إيذاء فريدي الذي ذهب يحمل كمانه وبندقيته أينما شاء، وهكذا عاش سعيداً كل أيامه لأن أحداً لم يستطع أن يقول «لا» لأي شيءٍ يطلبه من المرة الأولى.


ISBN 978-9948-01-357-0
9 789948 013570





